الشيخ ندا
أبو أحمد

الكتاب الجامع للفضائل

(٧١)

متفرقات (د)

فضل الجود والبـذل - فضل حفظ اللسان

فضل الحكمـة - فضل الحِلم - فضل الرحمة - فضل الرفق

فضل الزهد فيما في أيدي الناس - فضل الستر

الشيخ/ندا أبو أحمد



الكتاب الجامع للفضائل

متفرقات (د)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

نبض الرسالة

١- فضل الجود والبذل (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٢- فضل حفظ اللسان (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٣- فضل الحكمة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٤- فضل الحِلم (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٥- فضل الرحمة (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٦- فضل الرفق (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٧- فضل الزهد فيما في أيدي الناس (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

٨- فضل الستر (من القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة).

١- فضل الجود والبذل[١][٢]:

أولًا: فضل الجود والبذل من القُرآنِ الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١).

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ تعالى لتضعيفِ الثَّوابِ لمَن أنفق في سبيلِه وابتغاءَ مَرضاتِه، وأنَّ الحسَنةَ تُضاعَفُ بعَشرِ أمثالِها إلى سَبعِمائةِ ضِعفٍ ". (تفسير القرآن العظيم:١/٦٩١).

- لأنَّ المنفِقَ لأموالِه كريمٌ سَخيٌّ، فيقابِلُه اللهُ بكَرَمٍ أكبَرَ منه؛ فالنَّفَقةُ الطَّيِّبةُ يُنَمِّيها اللهُ عزَّ وجَلَّ لباذِلِها، ويضاعِفُ له أجْرَها سَبعَمائةِ مَرَّةٍ أو إلى أكثَرَ من ذلك بحسَبِ مَشيئتِه، وذلك وَفْقَ ما تقتضيه حكمتُه؛ فإنَّ المُنفِقين يتفاوتون إيمانًا وإخلاصًا للهِ تعالى، وتتفاوتُ نَفَقاتُهم كذلك بحسَبِ حِلِّها ونَفْعِها، وشِدَّةِ الحاجةِ إليها، فإنَّ اللهَ تعالى واسِعُ الفَضلِ والعطاءِ، فلا يَستبعِدَنَّ أحَدٌ ذلك الأجرَ الكريمَ، أو يتوهَّمْ أنَّ فيه مبالغةً؛ فإنَّ اللهَ تعالى لا يتعاظَمُه شيءٌ، ولا يَنقُصُه العَطاءُ مهما عَظُم ".

(جامع البيان لابن جرير:٤/٦٥١) (طريق الهجرتين لابن القيم ص: ٣٦٤) (تيسير الكريم الرحمن ص: ١١٢).

٢- وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٤) .

قال ابنُ كثيرٍ-رحمه الله-: " هذا مدحٌ منه تعالى للمُنفِقين في سبيلِه وابتغاءَ مرضاتِه في جميعِ الأوقاتِ من ليلٍ أو نهارٍ، والأحوالِ من سِرٍّ وجِهارٍ، حتَّى إنَّ النَّفقةَ على الأهلِ تدخُلُ في ذلك أيضًا ".

(تفسير القرآن العظيم:١/٧٠٧)

وقال السَّمَرْقَنديُّ-رحمه الله-: " هذا حثٌّ لجميعِ النَّاسِ على الصَّدَقةِ، يتصَدَّقون في الأحوالِ كُلِّها، وفي الأوقاتِ كُلِّها؛ فلهم أجرُهم عندَ ربِّهم، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزَنون ". (بحر العلوم للسمرقندي:١/١٨١)

٣- وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾. (سبأ:٣٩)

قال ابنُ عُثَيمين-رحمه الله-: " اللهُ عزَّ وجَلَّ يعطيك بدلًا عنه بالكَميَّةِ؛ إذا أنفقْتَ عَشَرةً أعطاك عَشَرةً، أو بالكيفيَّةِ؛ بمعنى: أنَّ الباقيَ يُنزِلُ اللهُ سُبحانه وتعالى به البَرَكةَ حتى يكونَ مقابِلًا لما أنفَقْتَ مَضمومًا إليه. والظَّاهِرُ أنَّه يشمَلُ الأمرَينِ ". (تفسير ابن عثيمين- سورة سبأ ص: ٢٤٢).

وفيه الحَثُّ على الإنفاقِ، فمَن أنفق في الخيرِ فالخَلَفُ مضمونٌ له. (تفسير ابن عثيمين- سورة سبأ ص: ٢٤٢).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.
٢- توجد رسالة خاصة عن" فضل الزكاة المفروضة وصدقة التطوع" للمؤلف ضمن هذه السلسلة، والله الموفق.

٤- وقال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٥)، فهذه الآيةُ تُبيِّنُ أنَّ نفقةَ أولئك المُنفِقين المُخلِصين الصَّادِقين الذين يجُودون بأموالِهم بسخاءِ نَفسٍ، وهم مُصَدِّقون بوعدِ رَبِّ العالَمين، تُشبِهُ بستانًا غزيرَ الأشجارِ والظِّلالِ، تُغَطِّي ما فيه من كثرتِها، وهو على مكانٍ مُرتَفِعٍ من الأرضِ، فكان خصيبًا جِدًّا؛ لأنَّه لَمَّا ارتفع عن مجرى المسايِلِ والأوديةِ كانت أرضُه أغلَظَ، فكان أحسَنَ وأزكى ثمرًا وغرسًا وزَرعًا، كما أنَّه بارتفاعِه يكونُ مُعَرَّضًا أكثَرَ للأهويةِ والرِّياحِ، وبائنًا للشَّمسِ وَقتَ طلوعِها واستوائِها وغروبِها، فيكونُ أنضجَ ثمرًا وأطيَبَه وأحسَنَه وأكثَرَه كذلك، وسَقْيُه إنَّما يأتي من السَّماءِ، فإمَّا أن يتعرَّضَ لمطَرٍ غزيرٍ، فيتضاعَفَ إنتاجُ ثمَرِه مرَّتينِ؛ الأصلُ ومِثلُه معه، أو يصيبَه مطَرٌ خفيفٌ كالرَّذاذِ، فإنَّه يكفيه ليُؤتيَ ثمارَه مضاعفةً؛ بسبَبِ كَرَمِ مَنبَتِه، وطيبِ مَغرَسِه، فهذه الجنَّةُ لا يُعدَمُ منها حصولُ الخيرِ بحالٍ من الأحوالِ.

فكذلك المؤمِنُ السَّخيُّ الكريمُ الباذِلُ لمالِه يضاعِفُ اللهُ تعالى صدقتَه قلَّت أو كَثُرَت، فلا تبورُ أبدًا، فإذا كان قَصدُه مَرضاةَ اللهِ عزَّ وجَلَّ والتَّثبيتَ من نَفسِه، فهي زاكيةٌ عندَ اللهِ تعالى، ونامِيةٌ في جميعِ الأحوالِ.

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ، أي: إنَّ ما تعملونَه -أيُّها النَّاسُ- من الإنفاقِ وغيرِه، هو بمرأى من اللهِ تعالى، لا يخفى عليه؛ فإنَّه يرى ويعلَمُ مَن المُنفِقُ منكم بالمَنِّ والأذى، ومَن المُنفِقُ ابتغاءَ مَرضاةِ اللهِ، وتثبيتًا من نفسِه، فيُحصي عليكم ذلك وغيرَه من أعمالِكم، حتَّى يجازيَكم عليها؛ إنْ خيرًا فخيرٌ، وإنْ شَرًّا فشَرٌّ ".

(جامع البيان لابن جرير:٤/٦٧٩) (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ١١٤) (تفسير ابن عثيمين–الفاتحة والبقرة:٣/٣٢٧).

ثانياً: فضل الجود والبذل من السنّة النّبَويّة:

١- *أخرج الإمام مسلم من حديث عُقبَةَ بنَ عَمرٍو ﷺ قال:* " **جاء رجلٌ بناقةٍ مخطومةٍ، فقال: هذه في سبيلِ اللهِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لك بها يومَ القيامةِ سَبعُمائةِ ناقةٍ، كُلُّها مخطومةٌ** ".

فأوضح هذا الحديث أنَّ الرَّجُلَ بذل وجاد من مالِه بناقةٍ حَسَنةٍ، لها خِطامٌ، وهو قريبٌ من الزِّمامِ، وهو حَبلٌ يُلَفُّ حولَ أنفِ النَّاقةِ يُشَدُّ على أعلى رأسِها لتُقادَ به، وهو دليلٌ على كونِها ناقةً ذَلولًا صالحةً للحَملِ والرُّكوبِ، فأخبر الرَّجُلُ النَّبيَّ ﷺ أنَّ نَفْسَه جادت بهذه النَّاقةِ لتكونَ صَدَقةً للجهادِ في إعلاءِ كَلِمةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، فأخبره النَّبيُّ ﷺ أنه يُجازى بها يومَ القيامةِ سبعَمائةِ ناقةٍ، كُلُّها مخطومةٌ، وذلك على سبيلِ المضاعفةِ في الأجرِ والثَّوابِ فَضلًا وكَرَمًا من اللهِ سُبحانَه، مِصداقًا **لقَولِه تعالى:** ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦١)، ويحتَمِلُ أنَّ له سبعَمائةِ ناقةٍ في الجنَّةِ يتنزَّهُ عليهنَّ ويركبُهنَّ حيث شاء.

(شرح النووي على مسلم:١٣/ ٣٨)، (الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم لمحمد الأمين الهرري :٢٠/ ٢١١)

٢- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي ذرٍّ ﷺ قال:*" انتهيتُ إلى النَّبيِّ ﷺ وهو جالِسٌ في ظِلِّ الكعبةِ، فلمَّا رآني قال: هم الأخسَرون وربِّ الكعبةِ. قال: فجِئتُ حتَّى جلستُ، فلم أتقارَّ[1] أن قُمْتُ، فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، فداك أبي وأمِّي، من هم؟ قال: هم الأكثرون أموالًا، إلَّا من قال هكذا وهكذا وهكذا[2]- من بَينِ يَدَيه ومِن خَلفِه، وعن يمينِه وعن شِمالِه- وقليلٌ ما هم، ما مِن صاحِبِ إبِلٍ ولا بَقَرٍ ولا غَنَمٍ لا يؤدِّي زكاتَها إلَّا جاءت يومَ القيامةِ أعظَمَ ما كانت وأسمَنَه، تنطَحُه بقُرونِها، وتطَؤُه بأظلافِها، كلَّما نَفِدَت أُخراها عادت عليه أُولاها، حتَّى يُقضى بَينَ النَّاسِ ".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-:" فيه الحثُّ على الصَّدَقةِ في وجوهِ الخيرِ ". (شرح صحيح مسلم:٧/٧٣).

٣- *وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ﷺ قال:*" بينما نحن في سَفَرٍ مع النَّبيِّ ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له، قال: فجَعَل يَصرِفُ بَصرَه يمينًا وشِمالًا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: مَن كان معه فَضلُ ظَهرٍ فلْيَعُدْ به على مَن لا ظَهْرَ له، ومَن كان له فَضلٌ مِن زادٍ فلْيَعُدْ به على مَن لا زادَ له، قال: فذَكَر مِن أصنافِ المالِ ما ذَكَر حتَّى رأينا أنَّه لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا في فَضلٍ ".

قال النَّوويُّ-رحمه الله-:" في هذا الحديثِ: الحَثُّ على الصَّدَقةِ والجُودِ والمواساةِ والإحسانِ إلى الرُّفقةِ والأصحابِ، والاعتناءِ بمصالحِ الأصحابِ، وأمرُ كبيرِ القومِ أصحابَه بمواساةِ المحتاجِ، وأنَّه يُكتفى في حاجةِ المحتاجِ بتعَرُّضِه للعطاءِ وتعريضِه من غيرِ سُؤالٍ ". (شرح النووي على مسلم:١٢/٣٣).

وأخبر أبو سعيدٍ ﷺ في نهايةِ هذا الحديثِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ ذكَرَ من أصنافِ المالِ ما ذكَر، حتَّى رأينا أنَّه لا حقَّ لأحَدٍ منَّا في فَضل، وأصنافُ المالِ كثيرةٌ؛ كالثَّوبِ والنِّعالِ، والقِربةِ والماءِ، والخيمةِ والنَّقودِ ونَحوِها. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري:٦/ ٢٥١٤)، حتَّى ظنَّ الصَّحابةُ -رَضِيَ اللهُ عنهم- وفَهِموا مِن أمرِه أنَّ الإنسانَ ليس له حقٌّ في إمساكِ ما زاد على حاجتِه من الطَّعامِ والشَّرابِ والرَّحلِ وغيرِ ذلك، بل عليه أن يجودَ به ويبذُلَه للمُحتاجين، وهذا كُلُّه من بابِ الإيثارِ، وهكذا الحُكمُ إذا نزلت حاجةٌ أو مجاعةٌ، في السَّفَرِ أو في الحَضَرِ؛ واسى المسلِمُ بما زاد على كفايةِ تلك الحالِ.

٤- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:*" ما من يومٍ يُصبِحُ العبادُ فيه إلَّا مَلَكانِ يَنزِلان، فيقولُ أحَدُهما: اللَّهُمَّ أعطِ مُنفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعطِ مُمسِكًا تَلَفًا ".

قال العُلَماءُ:" هذا في الإنفاقِ في الطَّاعاتِ ومكارِمِ الأخلاقِ، وعلى العيالِ والضِّيفانِ والصَّدَقاتِ ونحوِ ذلك، بحيثُ لا يُذَمُّ ولا يُسَمَّى سَرَفًا، والإمساكُ المذمومُ هو الإمساكُ عن هذا ".

(شرح النووي على مسلم:٧/ ٩٥).

١- لم أتقارَّ: لم ألبَثْ. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٤/٣٨).
٢- قولُه:" إلَّا من قال هكذا وهكذا وهكذا ": كنايةٌ عن التَّصدُّقِ العامِّ في جميعِ جهاتِ الخَيرِ. (مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمباركفوري:٦/ ٢٩٣).

٥- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أسماءَ- رَضِيَ اللهُ عنها- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: " أنفِقي، ولا تُحصي فيُحصيَ اللهُ عليكِ، ولا توعي فيُوعيَ اللهُ عليك ".

والحديثُ معناه الحَثُّ على النَّفقةِ في الطَّاعةِ، والنَّهيُ عن الإمساكِ والبُخلِ، وعن ادِّخارِ المالِ في الوِعاءِ.
(شرح النووي على مسلم:٧/ ١١٨).

٦- أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: " دينارٌ أنفَقْتَه في سبيلِ اللهِ، ودينارٌ أنفقْتَه في رَقَبةٍ، ودينارٌ تصَدَّقْتَ به على مِسكينٍ، ودينارٌ أنفقْتَه على أهلِك؛ أعظمُها أجرًا الذي أنفقْتَه على أهلِك ".

فهذا الحديثُ يُبَيِّنُ وجوهًا كثيرةً للنَّفَقةِ تدلُّ على تعدُّدِ صُوَرِ البَذْلِ والجُودِ؛ قال النَّوويُّ:" في هذا الحديثِ فوائِدُ؛ منها: الابتداءُ في النَّفَقةِ بالمذكورِ على هذا التَّرتيبِ. ومنها: أنَّ الحُقوقَ والفضائِلَ إذا تزاحمت قُدِّم الأوكَدُ فالأوكَدُ. ومنها: أنَّ الأفضَلَ في صَدَقةِ التَّطوُّعِ أن يُنَوِّعَها في جهاتِ الخَيرِ ووُجوهِ البِرِّ بحَسَبِ المصلحةِ، ولا ينحَصِرُ في جهةٍ بعَينِها ". (شرح النووي على مسلم:٧/٨١).

٧- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال النَّبيُّ ﷺ: " لا حَسَدَ إلَّا في اثنتين: رجُلٍ آتاه اللهُ مالًا فسُلِّط على هلَكَتِه[1] في الحَقِّ[2]، ورجلٍ آتاه اللهُ الحِكمةَ فهو يقضي بها ويُعَلِّمُها ".

٨- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي أُمامةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:" يا ابنَ آدَمَ إنَّك أن تَبذُلَ الفَضلَ خَيرٌ لك، وأن تمسِكَه شَرٌّ لك، ولا تُلامُ على كَفافٍ...".

والحديثُ معناه: إن بذَلْتَ الفاضِلَ عن حاجتِك وحاجةِ عيالِك فهو خيرٌ لك؛ لبقاءِ ثوابِه، وإن أمسَكْتَه فهو شرٌّ لك؛ لأنَّه إن أمسَك عن الواجِبِ استحَقَّ العقابَ عليه، وإن أمسَك عن المندوبِ فقد نقَص ثوابَه وفوَّت مصلحةَ نَفسِه في آخرتِه، وهذا كُلُّه شرٌّ، ومعنى" لا تُلامُ على كَفافٍ": أنَّ قَدْرَ الحاجةِ لا لَومَ على صاحِبِه، وهذا إذا لم يتوجَّهْ في الكَفافِ حَقٌّ شَرعيٌّ، كمن كان له نِصابٌ زَكَويٌّ ووجبت الزَّكاةُ بشُروطِها وهو محتاجٌ إلى ذلك النِّصابِ لكَفافِه، وجب عليه إخراجُ الزَّكاةِ، ويُحَصِّلُ كفايتَه من جهةٍ مُباحةٍ.
(شرح النووي على مسلم:٧/ ١٢٧).

٩- وأخرج البخاري من حديث الحارِثِ بنِ سُوَيدٍ، قال عبدُ اللهِ بن مسعود ﷺ: قال النَّبيُّ ﷺ: " أيُّكم مالُ وارِثِه أحَبُّ إليه من مالِه؟ قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما منَّا أحدٌ إلَّا مالُه أحَبُّ إليه، قال: فإنَّ مالَه ما قدَّم، ومالَ وارِثِه ما أخَّر ".

وهذا الحديثُ تنبيهٌ للمُؤمِنِ على أن يُقَدِّمَ من مالِه لآخِرتِه، ولا يكونَ خازِنًا له وممسِكَه عن إنفاقِه في الطَّاعةِ؛ فيَخيبَ من الانتفاعِ به يومَ الحاجةِ إليه ". (التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن :٢٩/ ٤٤٠).

١- هَلَكَتِه: أي: إهلاكِه، ففيه مبالغتانِ: التَّعبيرُ بالتَّسليطِ المقتضي لِفعلِه، وبالهَلَكةِ المُشعِرةِ بفَناءِ الكُلِّ، أي: إنفاقِه.
(دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان:٧/ ١٧١).

٢- في الحَقِّ: أي: ما يحقُّ فيه إنفاقُ المالِ من القُرَبِ. (المصدر السابق).

ثالثاً: فضل الجود والبذل من أقوالِ السَّلَفِ والعلُمَاءِ:

١- *قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ* ﷺ: " الجُودُ حارِسُ الأعراضِ ". (ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار:/٣٥٧).

٢- *وقال عليٌّ* ﷺ: " السَّخاءُ: ما كان ابتداءً، فأمَّا ما كان عن مسألةٍ، فحياءٌ وتذَمُّمٌ ".
(ذكره ابن حمدون في التذكرة الحمدونية:٢/٢٦٠) (والزمخشري في ربيع الأبرار:٤/٣٨٠).

- *وقال أيضًا:* " إذا أقبَلَت الدُّنيا عليك فأنفِقْ منها؛ فإنَّها لا تفنى، وإذا أدبَرَتْ عنك فأنفِقْ منها؛ فإنَّها لا تبقى ". (الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود لعبد الرءوف المناوي ص: ١٧٤).

٣- *وقال عَمَّار* ﷺ: " ثلاثٌ من جمعَهنَّ جَمَع الإيمانَ: الإنصافُ من نَفْسِك، والإنفاقُ من الإقتارِ، وبَذْلُ السَّلامِ للعالَمِ ". (أخرجه البخاري في صحيحه:١/ ١٥ معلَّقًا) (ابن أبي شيبة في الإيمان: ص: ٤٨).

٤- *وقال محمَّدُ بنُ يزيدَ الواسِطيُّ -رحمه الله-:* حدَّثني صديقٌ لي:" أنَّ أعرابيًّا انتهى إلى قومٍ، فقال: يا قومُ، أرى وجوهًا وضيئةً، وأخلاقًا رَضِيَّةً، فإن تكُنِ الأسماءُ على إثْرِ ذلك فقد سَعِدَت بكم أمُّكم، قال أحَدُهم: أنا عَطِيَّةُ، وقال الآخَرُ: أنا كرامةُ، وقال الآخَرُ: أنا عبدُ الواسِعِ، وقال الآخَرُ: أنا فضيلةُ، فأنشأ يقولُ:

كَرَمٌ وبَذلٌ واسِعٌ وعَطِيَّةٌ ... لا أينَ أذهَبُ أنتم أعيُنُ الكَرَمِ
من كان بَينَ فضيلةٍ وكرامةٍ ... لا ريبَ يَفْقَؤ أعيُنَ العَدَمِ

قال: فكَسَوه وأحسَنوا إليه، وانصرَف شاكرًا. (رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق:٦١١).

٥- *وقال حَسَن بنُ صالحٍ -رحمه الله-:* سُئِل الحَسَنُ البصري عن حُسنِ الخُلُقِ، فقال: الكَرَمُ، والبَذْلةُ، والاحتمالُ ". (الكرم والجود وسخاء النفوس للبرجلاني ص: ٥٥).

٦- *وقال جعفَرُ بنُ محمَّدٍ الصَّادِقُ -رحمه الله-:*" إنَّ للهِ وُجوهًا من خَلْقِه، خلَقَهم لقضاءِ حوائجِ عبادِه، يرون الجُودَ مجدًا، والإفضالَ مَغنَمًا، واللهُ يحِبُّ مكارِمَ الأخلاقِ ".
(ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري:٤/٣٥٧).

٧- *وقال بكرُ بنُ محمَّدٍ العابِدُ -رحمه الله-:*" ينبغي أن يكونَ المؤمِنُ من السَّخاءِ هكذا، وحثا بيدَيه ".
(رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق).

٨- *وقال عثمانُ بنُ واقِدٍ -رحمه الله-:* قيل لمحمَّدِ بنِ المُنكَدِرِ:" أيُّ الدُّنيا أحبُّ إليك؟ قال: الإفضالُ على الإخوانِ ". (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم:٣/ ١٤٩).

٩- *وقال ذو النُّونِ المصريُّ -رحمه الله-:*" علامةُ السعادةِ ثلاثٌ: متَى ما زيد في عُمرِه نقَص مِن حرصِه، ومتَى زيد في مالِه زيد في سخائِه، ومتَى زيد في قَدْرِه زيد في تواضعِه. وعلامةُ الشَّقاءِ ثلاثٌ: متَى ما زيد في عمرِه زيد في حرصِه، ومتى ما زيد في مالِه زيد في بخلِه، ومتى ما زيد في قدرِه زيد في تجبرِه وقهرِه وتكبُّرِه ". (لباب الآداب لأسامة بن منقذ:١/ ٢٥٥).

١٠- *وقال الماوَرديّ-رحمه الله-:* " اعلَمْ أنَّ الكريمَ يجتَزئُ بالكرامةِ واللُّطفِ، واللَّئيمَ يجتزئُ بالمهانةِ والعُنفِ، فلا يجودُ إلَّا خوفًا، ولا يجيبُ إلَّا عُنفًا، كما قال الشَّاعِرُ:
رأيتُك مِثْلَ الجَوزِ يمنَعُ لُبَّه[١]صحيحًا ويُعطي خيرَه حينَ يُكسَرُ، فاحذَرْ أن تكونَ المهانةُ طريقًا إلى اجتِدائِك[٢]، والخوفُ سبيلًا إلى عطائِك، فيَجريَ عليك سَفَهُ الطَّغامِ[٣]، وامتهانُ اللِّئامِ، وليَكُنْ جُودُك كَرَمًا ورَغبةً، لا لؤمًا ورَهبةً ". (أدب الدنيا والدين ص: ٢٠٠).

١١- *وقال ابنُ القيِّمِ-رحمه الله-:* " مِن علاماتِ السعادةِ والفلاحِ أنَّ العبدَ كلَّما زِيد في علمِه زِيد في تواضعِه ورحمتِه، وكلَّما زِيد في عملِه زيد في خوفِه وحذرِه، وكلَّما زيد في عمرِه نقَص مِن حرصِه، وكلَّما زيد في مالِه زيد في سخائِه وبذلِه، وكلَّما زيد في قدرِه وجاهِه زيد في قربِه مِن الناسِ وقضاءِ حوائجِهم والتواضِع لهم.
وعلاماتُ الشقاوةِ أنَّه كلَّما زيد في علمِه زيد في كبرِه وتيهِه، وكلَّما زيد في عملِه زيد في فخرِه واحتقارِه للناسِ وحُسنِ ظنِّه بنفسِه، وكلَّما زيد في عمرِه زيد في حرصِه، وكلَّما زيد في مالِه زيد في بخلِه وإمساكِه، وكلَّما زيد في قدرِه وجاهِه زيد في كبرِه وتيهِه. وهذه الأمورُ ابتلاءٌ مِن الله وامتحانٌ يَبتلي بها عبادَه، فيسعدُ بها أقوامٌ، ويشقَى بها أقوامٌ ". (الفوائد ص: ١٥٥).

ومن فضل وفوائدُ الكَرَمِ والجُودِ والسَّخاءِ والبَذْلِ كذلك:

١- الكَرَمُ والجُودُ والعطاءُ من كمالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ.

٢- دليلُ حُسنِ الظَّنِّ باللهِ تعالى.

٣- الكرامةُ في الدُّنيا، ورَفعُ الذِّكرِ في الآخِرةِ.

٤- المتَّصِفُ بهذه الصِّفاتِ محبوبٌ من الخالِقِ الكريمِ، وقريبٌ من الخَلقِ أجمعين.

٥- المتَّصِفُ بهذه الصِّفاتِ قليلُ الأعداءِ والخُصومِ؛ لأنَّ خَيرَه منشورٌ على العُمومِ.

٦- المتَّصِفُ بهذه الصِّفاتِ نَفعُه متعَدٍّ غيرُ مقصورٍ.

٧- هذه الصِّفاتُ تُثمِرُ حُسنَ ثناءِ النَّاسِ عليه.

٨- هذه الصِّفاتُ تبعَثُ على التَّكافُلِ الاجتماعيِّ والتَّوادِّ بَينَ النَّاسِ.

٩- هذه الصِّفاتُ تزيدُ البركةَ في الرِّزقِ والعُمُرِ.

١- لُبُّ الجَوزِ واللَّوزِ ونحوِهما: ما في جوفِه. (لسان العرب لابن منظور: ٧٢٩/١)
٢- الاجتِداءُ: السُّؤالُ. (المصدر السابق: ١٣٤/١٤ - ١٣٥).
٣ - الطَّغامُ: أوغادُ النَّاسِ. (القاموس المحيط للفيروآبادي ص: ١١٣٣).

١٠- هذه الصِّفاتُ تولِّدُ في الفردِ شُعورًا بأنَّه جزءٌ من الجماعةِ، وليس فردًا منعَزِلًا عنهم إلَّا في حدودِ مَصالحِه ومَسؤوليَّاتِه الشَّخصيَّةِ.

١١- هذه الصِّفاتُ تُزَكِّي الأنفُسَ وتُطَهِّرُها من رذائِلِ الأنانيَّةِ المَقيتةِ، والشُّحِّ الذَّميمِ.

١٢- هذه الصِّفاتُ تُسهِمُ في حَلِّ مُشكلاتِ ذوي الحاجاتِ من أفرادِ المجتَمَعِ الواحِدِ.

١٣- هذه الصِّفاتُ تُساعِدُ في إقامةِ سَدٍّ واقٍ يمنَعُ الأنفُسَ من سيطرةِ حبِّ التَّمَلُّكِ والأثَرةِ.

(نضرة النعيم:٨/٣٢٣٥) (الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني:٢/٣٦٣).

٢- فضل حفظ اللسان[١][٢]:

أولًا: فضل حفظ اللسان من القُرآنِ الكريم:

حثَّ القرآنُ الكريمُ على حِفظِ اللِّسانِ، وحَذَّر المُؤمِنين من إطلاقِه؛ فإنَّهم مسئولون، ومن ذلك:

١- قولُه تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)

وفيه أمرُ اللَّهِ سُبحانَه بإصلاحِ اللِّسانِ والقَلبِ. (فتح القدير للشوكاني:٣/ ٢٦٩).

قال الرَّازيُّ-رحمه الله- بعدَ أنْ ذَكَر أنَّ من معاني الآيةِ التي ذُكِرَت أنَّ المرادَ: شهادةُ الزُّورِ. أو: المرادُ: النَّهيُ عن القَذفِ ورَمي المحصَنين والمُحصَناتِ بالأكاذيبِ. أو المرادُ: النَّهيُ عن الكَذِبِ. أو المرادُ البَهتُ، وهو في معنى الغِيبةِ، وهو ذِكرُ الرَّجُلِ في غَيبتِه بما يَسوءُه. قال:" واعلَمْ أنَّ اللَّفظَ عامٌّ يتناوَلُ الكُلَّ، فلا معنى للتَّقييدِ، واللَّهُ أعلمُ ". (تفسير الرازي:٢٠/٣٣٩).

٢- وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠،٧١).

﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: أي قاصِدًا إلى الحَقِّ، والسَّدادُ: القَصدُ إلى الحَقِّ، والقولُ بالعَدلِ. والمرادُ: البعثُ على أن يَسِدَّ قَولُهم في كُلِّ بابٍ؛ لأنَّ حِفظَ اللِّسانِ وسَدادَ القولِ رأسُ الخَيرِ كُلِّه. والمعنى: راقِبوا اللَّهَ في حفظِ ألسِنَتِكم، وتسديدِ قولِكم؛ فإنَّكم إن فعَلْتُم ذلك أعطاكم اللَّهُ ما هو غايةُ الطَّلِبةِ من تقبُّلِ حسَناتِكم والإثابةِ عليها، ومِن مغفرةِ سَيِّئاتِكم وتكفيرِها. (الكشاف للزمخشري:٣/ ٥٦٣).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.
٢ توجد رسالة خاصة عن" فضل الصمت وحفظ اللسان" للمؤلف ضمن هذه السلسلة، والله الموفق.

٣- وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء: ٥٣)

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله-: " يأمُرُ تعالى رسولَه ﷺ أن يأمُرَ عبادَ اللَّهِ المؤمِنين أن يقولوا في مخاطباتِهم ومحاوراتِهم الكلامَ الأحسَنَ والكَلِمةَ الطَّيِّبةَ؛ فإنَّهم إذا لم يفعلوا ذلك نزغ الشَّيطانُ بَيْنَهم، وأخرَج الكلامَ إلى الفَعالِ، ووقع الشَّرُّ والمخاصمةُ والمقاتلةُ؛ فإنَّ الشَّيطانَ عَدُوٌّ لآدمَ وذُرِّيَّتِه من حينِ امتنَع من السُّجودِ لآدَمَ، فعداوتُه ظاهرةٌ بَيِّنةٌ؛ ولهذا نهى أن يشيرَ الرَّجُلُ إلى أخيه المُسلِمِ بحديدةٍ؛ فإنَّ الشَّيطانَ يَنزَغُ في يدِه، أي: فرُبَّما أصابه بها ". (تفسير القرآن العظيم:٥/٨٧).

وفي هذا الأمرِ أدبٌ من أرقى الآدابِ الإسلاميَّةِ وأصعَبِها إلَّا على مَن عَصَمه اللَّهُ وحَفِظَه، وهو أن يقولَ المُسلِمُ لأخيه المُسلِمِ الكَلِمةَ الطَّيِّبةَ في كُلِّ حالٍ: في غَضَبِه وسُرورِه، ومُزاحِه وجِدِّه؛ الكَلِمةَ التي لا تجرحُ قلبًا ولا تقطَعُ أواصِرَ ". (الأساس في التفسير لسعيد حوى :٦/٣٠٩٦).

٤- وقال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة: ٨٣) .

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾: أي قولوا لهم الطَّيِّبَ من القولِ، وجازوهم بأحسَنِ ما تحبُّون أن تجازوا به، وهذا كُلُّه حَضٌّ على مكارِمِ الأخلاقِ؛ فينبغي للإنسانِ أن يكونَ قَولُه للنَّاسِ لَيِّنًا ووَجهُه مُنبَسِطًا طَلْقًا مع البَرِّ والفاجِرِ، والسُّنِّيِّ والمبتَدِعِ، من غيرِ مُداهَنةٍ، ومن غيرِ أن يتكَلَّمَ معه بكلامٍ يَظُنُّ أنَّه يُرضي مَذهَبَه ". (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٢/١٦).

فمعنى قَولِه: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ أي: قولًا حَسَنًا، وهو حثٌّ بليغٌ على طِيبِ الأخلاقِ وحُسنِ المعاملةِ. والقَولُ الحسَنُ: يجمَعُ سائِرَ الفضائِلِ، وبه تنبَعِثُ المحبَّةُ من القلوبِ، وله تطمَئِنُّ النُّفوسُ، وبه تختفي الإحَنُ، وتذهَبُ حزازاتُ الصُّدورِ ". (أوضح التفاسير لمحمد بن الخطيب:١/١٥).

٥- وقال تعالى مُثنيًا على عبادِه المُؤمِنين بإعراضِهم عن اللَّغوِ: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ (المؤمنون:٣)

قال السَّعديُّ -رحمه الله-: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ وهو الكلامُ الذي لا خيرَ فيه ولا فائدةَ، مُعْرِضُونَ رغبةً عنه، وتنزيهًا لأنفسِهم، وترفُّعًا عنه، وإذا مرُّوا باللَّغوِ مَرُّوا كِرامًا، وإذا كانوا مُعرِضين عن اللَّغوِ فإعراضُهم عن المحرَّمِ مِن بابِ أَولى وأحرى، وإذا مَلَك العبدُ لِسانَه وخَزَنه إلَّا في الخيرِ، كان مالِكًا لأمرِه". (تيسير الكريم الرحمن ص: ٥٤٧).

ثانيًا: فضل حفظ اللسان من السُّنَّة النَّبَويَّة

حثَّت السُّنَّةُ النَّبَويَّةُ المُطَهَّرةُ على حِفظِ اللِّسانِ، فينبغي لمن أراد أن ينطِقَ أن يتدبَّرَ ما يقولُ قبلَ أن ينطِقَ، فإن ظهَرَت فيه مصلحةٌ تكَلَّم، وإلَّا أمسَك، ومن الأحاديثِ التي جاءت وتشهدُ لهذا المعنى:

١- *أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عُقبَةَ بنِ عامرٍ ﷺ قال:* قلتُ: يا رسولَ اللهِ! ما النَّجاةُ؟ قال: أمسِكْ عليك لسانَك، ولْيَسَعْك بيتُك، وابكِ على خطيئتِك ".

(صحيح سنن الترمذي:٢٤٠٦) وصححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:٢٨/ ٥٧٠).

وقوله ﷺ:" أمسِك عليك لسانَك": أي: لا تُجْرِه إلَّا بما يكونُ لك لا عليك، وكان الظَّاهِرُ أن يقالَ: حِفْظُ اللِّسانِ، فأخرَجَه على سبيلِ الأمرِ المُقتضي للتَّحقيقِ؛ مَزيدًا للتَّقريرِ. وقيل: الحديثُ من أسلوبِ الحكيمِ؛ فإنَّ السُّؤالَ عن حقيقةِ النَّجاةِ، والجوابُ بسَبَبِها؛ لأنَّه أهَمُّ ". **(دليل الفالحين لابن علان :٨/ ٣٤٦)**

٢- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى ﷺ قال:* " سُئِل رسولُ اللهِ ﷺ: أيُّ المُسلِمين أفضَلُ؟ قال: مَن سَلِم المُسلِمون مِن لِسانِه ويَدِه ".

وقولُه ﷺ:" مَن سَلِم المُسلِمون مِن لِسانِه ويَدِه"، أي: مَن كانت هذه حالَه كان أحَقَّ بهذا الاسمِ، وأمكَنَهم فيه. ويُبَيِّنُ ذلك أنَّه لا ينتهي الإنسانُ إلى هذا، حتَّى يتمَكَّنَ خَوفُ عقابِ اللَّهِ تعالى من قلبِه، ورجاءُ ثَوابِه، فيَكسِبُه ذلك وَرَعًا يحمِلُه على ضَبطِ لِسانِه ويَدِه، فلا يتكَلَّمُ إلَّا بما يَعنيه، ولا يفعَلُ إلَّا ما يَسلَمُ فيه، ومن كان كذلك فهو المُسلِمُ الكامِلُ، والمتَّقي الفاضِلُ ". **(المفهم للقرطبي:١/ ٢٢٤).**

قال ابنُ عُثَيمين-رحمه الله-: " فلا يلعَنُهم ولا يَسُبُّهم ولا يَشتِمُهم ولا يغتابُهم ولا يَنُمُّ فيهم، كُلُّ آفاتِ اللِّسانِ المتعَلِّقةِ بالخَلقِ قد كَفَّها فسَلِمَ النَّاسُ منه، وسَلِم المُسلِمون من يَدِه أيضًا، لا يعتدي عليهم بضربٍ ولا سَرِقةٍ ولا إفسادِ مالٍ ولا غيرِ ذلك، هذا هو المُسلِمُ، وليس المرادُ بذلك أنَّه ليس هناك مُسلِمٌ سواه، ولكِنَّ المعنى أنَّ هذا من الإسلامِ، وإلَّا فإنَّ المُسلِمَ مَن استسلم للهِ تعالى ظاهِرًا وباطِنًا، لكِنْ أحيانًا يأتي مِثلُ هذا التَّعبيرِ من أجلِ الحَثِّ على هذا العَمَلِ، وإن كان يُوجَدُ سِواه ". **(شرح رياض الصالحين:٦/ ٢٣٤).**

٤- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:*" مَن كان يُؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ فلْيَقُلْ خيرًا أو ليَصمُتْ ".

في هذا الحديثِ نَصٌّ صريحٌ على أنَّه لا ينبغي أن يتكَلَّمَ إلَّا إذا كان الكلامُ خيرًا، وهو الذي ظهَرَت له مصلحتُه، ومتى شَكَّ في ظهورِ المصلحةِ فلا يتكَلَّمْ.

قال الشَّافعيُّ-رحمه الله-: " إذا أراد الكلامَ فعليه أن يُفَكِّرَ قبلَ كَلامِه، فإن ظهَرَت المصلحةُ تكَلَّم، وإن شَكَّ لم يتكَلَّمْ حتى تَظهَرَ ". **(الأذكار للنووي ص: ٣٣٢).**

٣- *وأخرج البخاري من حديث سَهلِ بنِ سعدٍ ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:* **" من يَضمَنْ لي ما بَيْنَ لَحْيَيه وما بَيْنَ رِجلَيه أضمَنْ له الجنَّةَ ".**

وقولُه ﷺ:" مَن يَضمَنْ" من الضَّمانِ بمعنى الوفاءِ بتركِ المعصيةِ، والمعنى: من أدَّى الحَقَّ الذي على لسانِه من النُّطقِ بما يجِبُ عليه، أو الصَّمتِ عمَّا لا يعنيه، وأدَّى الحَقَّ الذي على فَرجِه مِن وَضعِه في الحلالِ وكَفِّه عن الحرامِ.

وقولُه ﷺ:" لَحْيَيه" هما العَظمانِ في جانِبَيِ الفَمِ، والمرادُ بما بَيْنَهما: اللِّسانُ، وقيل: المرادُ بما بَيْنَ اللَّحيَين الفَمُ، فيتناوَلُ الأقوالَ والأكلَ والشُّربَ وسائِرَ ما يتأتَّى بالفَمِ من الفعلِ. ومن تحفَّظَ من ذلك أمِنَ من الشَّرِّ كُلِّه، ومحمَلُ الحديثِ على أنَّ النُّطقَ باللِّسانِ أصلٌ في حصولِ كُلِّ مطلوبٍ، فإذا لم ينطِقْ به إلَّا في خيرٍ سَلِم. ودَلَّ الحديثُ على أنَّ أعظَمَ البلاءِ على المرءِ في الدُّنيا لسانُه وفَرجُه، فمَن وُقِيَ شَرَّهما وُقِيَ أعظَمَ الشَّرِّ. (فتح الباري لابن حجر:١١/ ٣٠٩).

٥- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال:* **" إنَّ العَبدَ لَيتكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن رِضوانِ اللَّهِ، لا يُلقي لها بالًا، يَرفَعُه اللَّهُ بها دَرَجاتٍ، وإنَّ العَبدَ لَيتكَلَّمُ بالكَلِمةِ مِن سَخَطِ اللَّهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ ".**

وقولُه ﷺ:" لا يُلقي لها بالًا" أي: لا يرى بتلك الكَلِمةِ بأسًا، ومعنى الحديثِ: إنَّ العبدَ ليتكَلَّمُ بكَلِمةِ حقٍّ وخيرٍ لا يعرِفُ قَدْرَه؛ يعني: يظنُّها قليلًا، وهو عِندَ اللَّهِ عظيمُ القَدرِ، فيَحصُلُ بها رضوانُ اللَّهِ. وكذلك ربَّما يتكَلَّمُ بشَرٍّ وهو لا يظنُّه ذَنبًا، وهو عِندَ اللَّهِ ذنبٌ عظيمٌ، فيَحصُلُ له سَخَطُ اللَّهِ، يعني: لا يجوزُ أن يظُنَّ الخيرَ حقيرًا، بل لِيَعمَلِ الرَّجُلُ بكُلِّ خيرٍ، ولْيتكَلَّمْ كُلَّ خيرٍ. وكذلك لا يجوزُ أن يَعُدَّ الشَّرَّ حقيرًا، بل لِيَترُكِ الرَّجُلُ كُلَّ شرٍّ؛ كي لا يصدُرَ منه شرٌّ، فيُحصَلَ له به سَخَطُ اللَّهِ.

(المفاتيح في شرح المصابيح للمظهري:٥/ ١٧١).

قال ابنُ عبدِ البَرِّ-رحمه الله-:" وقد فَسَّر ابنُ عُيَينةَ هذا الحديثَ بمعنى ما أصِفُ لك، قال: هي الكَلِمةُ عِندَ السُّلطانِ الظَّالمِ لِيَرُدَّه بها عن ظُلْمِه في إراقةِ دَمٍ أو أخذِ مالٍ لمُسلِمٍ، أو لِيَصرِفَه عن معصيةِ اللَّهِ عزَّ وجَلَّ، أو يُعِزَّ ضعيفًا لا يستطيعُ بُلوغَ حاجتِه عندَه، ونحوَ ذلك ممَّا يُرضي اللَّهَ به، وكذلك الكَلِمةُ في عونِه على الإثمِ والجَورِ ممَّا يُسخِطُ اللَّهَ به ". (الاستذكار:٨/ ٥٥٥).

وقال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله- عَقِبَ ذِكرِه عِدَّةَ أحاديثَ في بابِ حِفظِ اللِّسانِ:" ما أحَقَّ مَن عَلِم أنَّ عليه حَفَظةً موكَّلين به، يُحصون عليه سَقَطَ كَلامِه وعَثَراتِ لِسانِه، أن يَخزُنَه ويَقِلَّ كلامُه فيما لا يَعنيه! وما أحراه بالسَّعيِ في ألَّا يرتفِعَ عنه ما يطولُ عليه نَدَمُه من قولِ الزُّورِ والخَوضِ في الباطِلِ، وأن يجاهِدَ نفسَه في ذلك، ويستعينَ باللَّهِ ويستعيذَ مِن شَرِّ لِسانِه ". (شرح صحيح البخاري:١٠/ ١٨٥).

ثالثًا: فضل حفظ اللسان من أقوالِ السَّلَفِ والعلَماءِ وغيرِهم

رُوِيَ عن السَّلَفِ الصَّالحِ آثارٌ كثيرةٌ تُبيِّنُ مدى معرفتِهم بخَطَرِ اللِّسانِ، وحِرصِهم على حِفظِ ألسِنَتِهم، والحَذَرِ أشَدَّ الحَذَرِ من إطلاقِ اللِّسانِ، ومن هذه الآثارِ على سبيلِ المثالِ:

١- *قال ابنُ مسعودٍ* ﷺ: " والذي لا إلهَ غيرُه ما على الأرضِ شيءٌ أحوجُ إلى طولِ سَجنٍ من لسانٍ ".
(الأدب لابن أبي شيبة ص: ٢٤٥). (أخرجه ابن المبارك في الزهد:٣٨٤) (البيهقي في شعب الإيمان:٥٠٠٣)

٢- *وقال أنسِ بنِ مالكٍ* ﷺ: " ما اتَّقى اللَّهَ أحدٌ حَقَّ تُقاتِه حتَّى يَخزُنَ من لسانِه ".
(الأمثال لابن سلام ص: ٣٩).

٣- *وقال عَمرُو بنُ العاصِ* ﷺ: " الكَلامُ كالدَّواءِ؛ إن أقلَلْتَ منه نفَع، وإن أكثَرْتَ منه قَتَل".
(ربيع الأبرار للزمخشري :٢/١٣٦).

٤- *وقال سعيدُ بنُ عَبدِ العزيزِ-رحمه الله-:* " رأى أبو الدَّرداءِ ﷺ امرأةً سليطةَ اللِّسانِ، فقال: لو كانت هذه خَرْساءَ كان خيرًا لها ". (أخرجه أحمد في الزهد:٧٥٩) (وابن أبي الدنيا في الصمت:١٠٠).

٥- *وقال مالِكُ بنُ دينارٍ-رحمه الله-:* " كان الأبرارُ يتواصَون بثلاثٍ: بسَجنِ اللِّسانِ، وكَثرةِ الاستِغفارِ، والعُزلةِ ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٢/ ٣٧٧).

٦- *واجتَمَع قُسُّ بنُ ساعِدَةَ وأكثَمُ بنُ صَيفيٍّ، فقال أحَدُهما لصاحِبِه:* كم وجَدْتَ في ابنِ آدَمَ من العُيوبِ؟ فقال: هي أكثَرُ من أن تُحصى، والذي أحصَيتُه ثمانيةُ آلافِ عَيبٍ، ووجَدتُ خَصلةً إن استعمَلْتَها ستَرْتَ العُيوبَ كُلَّها، قال: ما هي: قال: حِفظُ اللِّسانِ ". (الأذكار للنووي ص: ٣٣٥).

٧- *وقال الحَسَنُ-رحمه الله-:* " ما عَقَلَ دِينَه مَن لم يَحفَظْ لِسانَه ". (إحياء علوم الدين للغزالي:٣/ ١١١).

- *وقال أيضًا-رحمه الله-:* " اللِّسانُ أميرُ البَدَنِ، فإذا جنى على الأعضاءِ بشيءٍ جَنَت، وإن عَفَّ عفَّت ".
(الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٦٩)

٨- *وقال الصَّلْتُ بنُ بِسطامٍ التَّيميِّ-رحمه الله-:* قال لي أبي:" الزَمْ عبدَ المَلِكِ بنَ أبجَرَ فتعَلَّمْ مِن توقِّيه في الكلامِ، فما أعلَمُ بالكوفةِ أشَدَّ تحفُّظًا للسانِه منه ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٢٢١).

٩- *وقال محمَّدُ بنُ واسِعٍ-رحمه الله- لمالِكِ بنِ دينارٍ:* " يا أبا يحيى، حِفظُ اللِّسانِ أشَدُّ على النَّاسِ مِن حِفظِ الدِّينارِ والدِّرهَمِ ". (إحياء علوم الدين للغزالي:٣/ ١١١).

١٠- *وقال الأوزاعيُّ-رحمه الله-:* كَتَب إلينا عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ رحمه اللَّهُ برسالةٍ لم يحفَظْها غيري وغيرُ مكحولٍ:" أمَّا بعدُ، فإنَّه مَن أكثَرَ ذِكرَ الموتِ رَضِيَ من الدُّنيا باليسيرِ، ومَن عَدَّ كَلامَه مِن عَمَلِه قَلَّ كلامُه فيما لا ينفَعُه ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٦١).

١١- ***وقال يونُسُ بنُ عُبَيدٍ-رحمه الله-:*** " ما مِن النَّاسِ أحَدٌ يكونُ لِسانُه منه على بالٍ إلَّا رأيتَ صلاحَ ذلك في سائرِ عمَلِه ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٧٠).

١٢- ***قال سُلَيمانُ بنُ سالمٍ-رحمه الله-:*** قال لي أبو سِنانٍ:" إذا كان طالِبُ العِلمِ لا يتعَلَّمُ، أو قبلَ أن يتعَلَّمَ مسألةً في الدِّينِ يتعَلَّمُ الوقيعةَ في النَّاسِ، متى يُفلِحُ؟!، وكان لا يتكَلَّمُ أحدٌ في مجلِسِه بغِيبةٍ في أحَدٍ، فإذا تكَلَّم بذلك نهاه وأسكَتَه. (ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض:٤/ ١٠٤).

١٣- ***قال ابنُ بطَّةَ العُكبَريُّ-رحمه الله-:*** " علامةُ من أراد اللَّهُ به خيرًا، وكان ممَّن سبقَت له مِن مولاه الكريمِ عنايةٌ: أن يفتَحَ له بابَ الدُّعاءِ باللَّجَأ والافتِقارِ إلى اللَّهِ عزَّ وجَلَّ بالسَّلامةِ والنَّجا، ويَهَبَ له الصَّمتَ إلَّا بما للهِ فيه رضا، ولدينِه فيه صلاحٌ، وأن يكونَ حافِظًا للسانِه، عارفًا بأهلِ زمانِه، مقبلًا على شأنِه، قد ترك الخوضَ والكلامَ فيما لا يعنيه، والمسألةَ والإخبارَ بما لعلَّه أن يكونَ فيه هلاكُه، لا يحِبُّ إلَّا للهِ، ولا يبغِضُ إلَّا للهِ؛ فإنَّ هذه الفِتَنَ والأهواءَ قد فضَحَت خَلقًا كثيرًا، وكَشَفَت أستارَهم عن أحوالٍ قبيحةٍ؛ فإنَّ أصونَ النَّاسِ لنفسِه أحفَظُهم للسانِه، وأشغَلُهم بدينِه، وأترَكُهم لِما لا يَعنيه ". (الإبانة الكبرى:٢/ ٥٩٦).

١٤- ***وقال حُمَيدُ بنُ هِلالٍ-رحمه الله-:*** قال عبدُ اللَّهِ بنُ عَمرٍو:" دَعْ ما لستَ منه في شيءٍ، ولا تنطِقْ فيما لا يَعنيك، واخزُنْ لسانَك كما تَخزُنُ وَرَقَك ".

(أخرجه ابن أبي شيبة وأبو نعيم في حلية الأولياء والبيهقي في شعب الإيمان).

١٥- ***وقال عطاءُ بنُ أبي رَباحٍ-رحمه الله-:*** " يا بَني أخي، إنَّ مَن كان قَبْلَكم كانوا يكرَهونَ فُضولَ الكلامِ، وكانوا يَعُدُّونَ فُضولَ الكلامِ ما عدا كِتابَ اللَّهِ أن تقرَأَه، أو تأمُرَ بمعروفٍ، أو تنهى عن مُنكَرٍ، أو تنطِقَ بحاجتِك في معيشتِك التي لا بُدَّ لك منها، أتُنكِرون إنَّ ﴿عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ (الانفطار:١١)، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ (ق:١٧)، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق:١٨)؟ أمَا يستحي أحَدُكم أنْ لو نُشِرَت عليه صحيفتُه التي أملى صَدْرَ نهارِه كان أكثَرُ ما فيها ليس من أمرِ دينِه ولا دُنياه ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٨١).

١٦- ***وقال عبدُ العزيزِ بنُ الماجِشُونِ-رحمه الله-:*** قال أبو حازمٍ لبعضِ أولئك الأمراءِ:" واللَّهِ لولا تَبِعةُ لِساني لأشفَيتُ منكم اليومَ صدْري ". (الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٢٢٠).

١٧- ***وقال شُمَيطُ بنُ عَجلانَ-رحمه الله-:*** " يا ابنَ آدَمَ، إنَّك ما سَكَتَّ فأنت سالمٌ، فإذا تكَلَّمْتَ فخُذْ حِذْرَك، إمَّا لك وإمَّا عليك ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب:١/ ٣٤٠).

١٨- ***وقال أبو اللَّيثِ السَّمَرْقَنديُّ-رحمه الله-:*** " اعلَمْ أنَّ الإنسانَ لا يغلِبُ الشَّيطانَ إلَّا بالسُّكوتِ؛ فينبغي للمُسلِمِ أن يكونَ حافِظًا للسانِه، حتَّى يكونَ في حِرزٍ من الشَّيطانِ، ويَستُرَ اللَّهُ عليه عورتَه ".

(تنبيه الغافلين ص: ٢١٢).

١٩- ***وقال أبو بَكر بنُ عَيَّاشٍ-رحمه الله-:*** " أربعةٌ من الملوكِ تكَلَّمَ كُلُّ واحدٍ منهم بكَلِمةٍ كأنَّها رَميةٌ رُمِيَت من قَوسٍ واحدةٍ؛ قال كِسْرى: لا أندَمُ على ما لم أقُلْ، وقد أندَمَ على ما قُلتُ، وقال مَلِكُ الصِّينِ: ما لم أتكَلَّمْ بكَلِمةٍ فأنا أملِكُها، فإن تكَلَّمْتُ بها ملَكَتْني. وقال قَيصَرُ مَلِكُ الرُّومِ: أنا على ردِّ ما لم أقُلْ أقدَرُ منِّي على ردِّ ما قُلتُ. وقال مَلِكُ الهندِ: العَجَبُ ممَّن يتكَلَّمُ بكَلِمةٍ إن هي ضَرَّتْه، وإن لم تُرفَعْ لم تنفَعْه ".
(تنبيه الغافلين للسمرقندي ص: ٢١٤). (عيون الأخبار لابن قتيبة:٢/ ١٩٥) (حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/ ١٧٠).

٢٠- ***وقال يزيدُ بنُ أبي حبيبٍ-رحمه الله-:*** " مِن فتنةِ العالِمِ أن يكونَ الكلامُ أحَبَّ إليه من الاستماعِ، وإن وَجَد مَن يكفيه؛ فإنَّ في الاستماعِ سلامةً، وزيادةً في العِلمِ، والمستَمِعُ شريكُ المتكَلِّمِ في الكلامِ، إلَّا مَن عَصَم اللَّهُ ". **(الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٨٨).**

٢١- ***وقال إبراهيمُ التَّيميّ-رحمه الله-:*** " المُؤمِنُ إذا أراد أن يتكَلَّمَ نَظَر؛ فإن كان كلامُه له تكَلَّمَ، وإن كان عليه أمسَكَ عنه، والفاجِرُ إنَّما لسانُه رِسْلًا رِسْلًا ". **(الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٨٥).**

٢٢- ***وقال يَعْلى بنُ عُبَيدٍ-رحمه الله-:*** " سمِعتُ سُفيانَ الثَّوريَّ يقولُ: لو كان معكم من يرفَعُ الحديثَ إلى السُّلطانِ أكنتُم تتكَلَّمون بشيءٍ؟ قُلْنا: لا. قال: فإنَّ معكم مَن يَرفَعُ الحديثَ! ". **(حلية الأولياء:٧/ ٦٩).**

٢٣- ***وقال المُنذِرُ بنُ المُنذِرِ لابنِه النُّعمانِ يوصيه:*** "... واعلَمْ أنَّ السُّكوتَ عن الأمرِ الذي لا يعنيك خيرٌ من الكلامِ، فإذا اضطُرِرتَ إليه فتحَرَّ الصِّدقَ والإيجازَ، تسْلَمْ إن شاء اللَّهُ تعالى ".
(البيان والتبيين للجاحظ:٣/ ٢٩٣).

٢٤- ***وقال أبو حامدٍ الغَزاليّ-رحمه الله-:*** " اعلَمْ أنَّ أحسَنَ أحوالِك أن تحفظَ ألفاظَك من جميعِ الآفاتِ التي ذكَرْناها من الغِيبةِ والنَّميمةِ والكَذِبِ والمِراءِ والجِدالِ وغيرِها، وتتكَلَّمَ فيما هو مباحٌ لا ضَرَرَ عليك فيه، ولا على مُسلِمٍ أصلًا، إلَّا أنَّك تتكلَّمُ بما أنت مستغنٍ عنه ولا حاجةَ بك إليه؛ فإنَّك مُضَيِّعٌ به زمانَك ومحاسَبٌ على عَمَلِ لِسانِك، وتستبدِلُ الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ ". **(إحياء علوم الدين:٣/١١٢)**

ومن فضل وفوائدُ حِفظِ اللِّسانِ كذلك:

١- أنَّ تمامَ إسلامِ المرءِ أن يَكُفَّ لِسانَه عن المُسلِمين.

٢- أنَّ حِفظَ اللِّسانِ سبَبٌ للنَّجاةِ.

٣- أنَّ في حِفظِ لسانِه امتِثالًا لأمرِ اللَّهِ سُبحانَه، وأمرِ رَسولِه ﷺ بحِفظِه.

٤- أنَّ فيه اقتداءً بأنبياءِ اللَّهِ ورُسُلِه وعبادِه المتَّقين.

٥- حِفظُ اللِّسانِ يَقي المرءَ من الوقوعِ في آفاتِه، مِثلُ: الكَذِبِ والغِيبةِ، والتَّشَدُّقِ والبذاءةِ التي لها الكثيرُ من الآثارِ السَّيِّئةِ على المجتَمَعاتِ.

٦- أنَّ مَن مَلَك لسانَه كان أقدَرَ على أن يَملِكَ جميعَ أمرِه.

٧- بحِفظِ اللِّسانِ تختفي الإحَنُ، وتذهَبُ حزازاتُ الصُّدورِ.

٨- حِفظُ اللِّسانِ يزيدُ مِن حِكمةِ المُؤمِنِ واتِّزانِه، بعَدَمِ التَّسرُّعِ في الكلامِ، والتَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ قبلَ النُّطقِ.

٩- حِفظُ المُسلِمِ لِسانِه يكونُ سَبَبًا في نَشرِ الرَّحمةِ والمودَّةِ والمحبَّةِ والتَّرابُطِ بَيْنَ أفرادِ المجتَمَعِ.

١٠- استِقامةُ الجوارِحِ؛ حيثُ **قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ** رضي الله عنه: " اللِّسانُ قِوامُ البَدَنِ، فإذا استقام اللِّسانُ استقامت الجوارِحُ، وإذا اضطرب اللِّسانُ لم يقُمْ له جارحةٌ ".(أخرجه ابن أبي الدنيا في" الصمت" ص: ٦٩).

١١- حِفظُ الأوقاتِ فيما يجلِبُ مصلحةَ النَّاسِ؛ فإنَّ كَثرةَ الاشتغالِ بالمشاجَراتِ والخلافاتِ، وتتَبُّعَ أقوالِ الآخَرينَ، ليس له منفعةٌ للفَردِ، بل فيه خُسرانٌ وضَياعٌ للأوقاتِ التي يمكِنُ للمرءِ أن يستَثمِرَها في خِدمةِ دينِه ودُنياه.

٣- فضل الحكمة[1]:

أولًا: فضل الحكمة من القرآن الكريم

١- **قال تعالى:** ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥) .

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ أي: بالمقالةِ المُحكَمةِ الصَّحيحةِ، وهو الدَّليلُ الموضِّحُ للحَقِّ، المزيحُ للشُّبهةِ. (محاسن التأويل للقاسمي:٦/٤٢٢).

٢- **وقال تعالى:** ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (البقرة: ٢٦٩) .

أي: أنَّه تعالى يعطي الحِكمةَ والعِلمَ النَّافعَ المُصرِّفَ للإرادةِ لمن يشاء من عبادِه، فيمَيِّزُ به الحقائقَ من الأوهامِ، ويُسهِّلُ عليه التَّفرقةَ بَيْنَ الوسواسِ والإلهامِ، وآلةُ الحِكمةِ العَقلُ المستَقِلُّ بالحُكمِ في إدراكِ الأشياءِ بأدلَّتِها، على حقيقتِها، ومن أُوتي ذلك عَرَف الفَرْقَ بَيْنَ وَعدِ الرَّحمنِ ووَعدِ الشَّيطانِ، وعَضَّ على الأوَّلِ بالنَّواجِذِ، وطرَح الثَّانيَ وراءَه ظِهريًّا، وفَهِم الأمورَ ". (تفسير المراغي:٣/٤١).

قال السَّعديُّ-رحمه الله-: " إنَّ من آتاه اللَّهُ الحِكمةَ فقد آتاه خيرًا كثيرًا، وأيُّ خيرٍ أعظمُ من خيرٍ فيه سعادةُ الدَّارينِ، والنَّجاةُ من شقاوتِهما؟! وفيه التَّخصيصُ بهذا الفضلِ، وكونِه من ورَثةِ الأنبياءِ، فكمالُ العبدِ متوقِّفٌ على الحِكمةِ؛ إذ كمالُه بتكميلِ قوَّتيه العِلميَّةِ والعَمَليَّةِ، فتكميلُ قوَّتِه العِلميَّةِ: بمعرفةِ الحقِّ، ومعرفةِ المقصودِ به، وتكميلُ قوَّتِه العَمَليَّةِ: بالعملِ بالخيرِ وتَركِ الشَّرِّ، وبذلك يتمكَّنُ من الإصابةِ بالقولِ والعَمَلِ، وتنزيلِ الأمورِ منازِلَها في نفسِه وفي غيرِه، وبدون ذلك لا يمكِنُه ذلك ". (تفسير السعدي ص: ١١٥).

٣- **قال تعالى:** ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (لقمان: ١٢)

يخبرُ تعالى عن امتنانِه على عبدِه الفاضِلِ لُقمانَ بالحِكمةِ، وهي العِلمُ بالحَقِّ على وجهِه وحِكمتِه، فهي العِلمُ بالأحكامِ، ومعرفةُ ما فيها من الأسرارِ والإحكامِ؛ فقد يكون الإنسانُ عالِمًا، ولا يكونُ حكيمًا. (تفسير السعدي ص: ٦٤٨).

[1] - موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

ثانياً: فضل الحكمة من السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

١- وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابنِ مسعودٍ ﷺ قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: " لا حَسَدَ إلَّا في اثنتَينِ: رجلٌ آتاه اللَّهُ مالًا فسُلِّط على هَلَكتِه في الحَقِّ، ورجُلٌ آتاه اللَّهُ الحِكمةَ فهو يقضي بها ويُعَلِّمُها".

قال النَّوويّ-رحمه الله-: وقوله ﷺ:" ورجلٌ آتاه اللهُ حِكمةً فهو يقضي بها ويُعَلِّمُها"، معناه: يعمَلُ بها ويُعلِّمُها احتسابًا ". (شرح النووي على مسلم:٦/٩٨)

٢- وأخرج البخاري من حديث ابنِ عبَّاسٍ-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: ضمَّني النَّبيُّ ﷺ وقال:" اللَّهُمَّ عَلِّمْه الحِكمةَ ".

قال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-:" اختلف الشُّرَّاحُ في المرادِ بالحِكمةِ هنا، فقيل: القرآنُ...، وقيل: العَمَلُ به، وقيل: السُّنَّةُ، وقيل: الإصابةُ في القولِ، وقيل: الخَشيةُ، وقيل: الفَهمُ عن اللهِ، وقيل: العقلُ، وقيل: ما يَشهَدُ العقلُ بصِحَّتِه، وقيل: نورٌ يُفرِّقُ به بَيْنَ الإلهامِ والوِسواسِ، وقيل: سرعةُ الجوابِ مع الإصابةِ. وبعضُ هذه الأقوالِ ذكرها بعضُ أهلِ التَّفسيرِ في تفسيرِ قَولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، والأقرَبُ أنَّ المرادَ بها في حديثِ ابنِ عبَّاسٍ: الفَهمُ في القرآنِ ". (فتح الباري لابن حجر:١/١٧٠).

ثالثًا: فضل الحكمة من أقوالِ السَّلَفِ وأهلِ العلمِ:

١- قال ابنُ مسعودٍ ﷺ:" ينبغي لحامِلِ القرآنِ أن يكونَ باكِيًا محزونًا، حليمًا سَكينًا ".

(رواه ابنُ أبي شيبة) (أحمد في الزهد:٨٩٢) (وأبو نعيم في الحلية:١/١٣٠).

٢- وكتب سَلمانُ إلى أبي الدَّرداءِ- رَضِيَ اللهُ عنهما-:" إنَّما العِلمُ كالينابيعِ، فينفَعُ به اللهُ من شاء، ومَثَلُ حِكمةٍ لا يُتكَلَّمُ بها كجَسَدٍ لا رُوحَ له ". (رواه الدارمي) (وابن أبي شيبة) (وابن عساكر في تاريخ دمشق)

٣- وقال ابنُ عبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما-:" كونوا ربَّانيِّين حُكَماءَ فُقَهاءَ ".

(أخرجه البخاري معلَّقًا بصيغة الجزم ورواه موصولًا ابن أبي حاتم في التفسير:٣٧٤٦، وحسَّنه ابنُ حجر في فتح الباري:١/١٩٢).

٤- وقال عِكرِمةُ-رحمه الله-: قال عيسى بنُ مريمَ ﷺ: لا تطرَحِ اللُّؤلُؤَ إلى الخِنزيرِ؛ فإنَّ الخِنزيرَ لا يصنعُ باللُّؤلؤِ شيئًا، ولا تُعطِ الحِكمةَ مَن لا يريدُها؛ فإنَّ الحِكمةَ خيرٌ من اللُّؤلؤِ، ومَن لم يُرِدْها شرٌّ من الخِنزيرِ!". (رواه عبد الرزاق، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى:٦١٥).

٥- وقال سُلَيمانُ بنُ عبدِ الملكِ-رحمه الله-:" يا أبا حازمٍ، مَن أعقَلُ النَّاسِ؟ فقال أبو حازمٍ: من تعَلَّمَ الحِكمةَ وعلَّمها النَّاسَ ". (رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم:٣٤٥٦).

٦- وقال وَهبُ بنُ مُنَبِّهٍ-رحمه الله-:" إنَّ الحِكمةَ تُسكِّنُ القلبَ الوادِعَ السَّاكِنَ ". (رواه الدارمي:٥٨٠).

٧- *وقال حمَّادُ بنُ أبي حنيفةَ-رحمه الله-:* " كان يقالُ: من يستقبِلْ وُجوهَ الآراءِ عَرف مواقِعَ الخطأِ، ومن عُرِف بالحِكمةِ لمحَتْه الأعينُ بالوَقارِ ".

(رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم:٢٦٣٠) (نثر الدر للآبي:٤/ ١٦٦).

٨- *وقال ابنُ عُيَينةَ-رحمه الله-:* " كان يقالُ: إنَّ أفضَلَ ما أعطيَ العبدُ في الدُّنيا الحِكمةُ، وفي الآخِرةِ الرَّحمةُ ". (رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم:٢٦٦٩).

٩- *وقال كثيرُ بنُ مرَّةَ-رحمه الله-:* " لا تُحدِّثِ الباطِلَ للحُكَماءِ فيَمقتوك، ولا تُحدِّثِ الحِكمةَ للسُّفَهاءِ فيُكَذبوك، ولا تمنَعِ العِلمَ أهلَه فتأثَمَ، ولا تضَعْه في غيرِ أهلِه فتُجهَّلَ، إنَّ عليك في عِلمِك حَقًّا، كما أنَّ عليك في مالِك حَقًّا ". (رواه الدارمي:٣٧٨).

١٠- *وقال أبو بكرِ بنِ دُرَيدٍ-رحمه الله-:* " كلُّ كَلِمةٍ وعظَتْك وزجرَتْك، أو دعَتْك إلى مَكرُمةٍ، أو نهَتْك عن قبيحٍ؛ فهي حِكمةٌ ". (رواه الثعلبي في التفسير:٢٧٦/١).

١١- *وقال عبدُ الرَّحمنِ الحبليِّ-رحمه الله-:* " ليس هَديَّةٌ أفضَلَ من كَلِمةِ حِكمةٍ تُهديها لأخيك ".

(رواه الدارمي:٣٥١).

١٢- *وقال أبانُ بنُ سليمٍ-رحمه الله-:* " كَلِمةُ حِكمةٍ لك من أخيك خيرٌ لك من مالٍ يعطيك؛ لأنَّ المالَ يُطغيك، والكَلِمةَ تَهديك ". (رواه ابنُ عبد البر في جامع بيان العلم وفضله:٢٦٣).

١٣- *وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-:* " العُلَماءُ كثيرٌ، والحُكَماءُ قليلٌ، وإنَّما يرادُ من العِلمِ الحِكمةُ، فمن أوتيَ الحِكمةَ فقد أوتي خيرًا كثيرًا ". (أخلاق العُلَماء للآجري ص: ٩٠) (حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/ ٩٢).

قال الآجُرِّيُّ-رحمه الله-: " قولُ الفُضَيلِ- واللهُ أعلمُ-: " العُلَماءُ كثيرٌ، والحُكَماءُ قليلٌ" يعني: قليلٌ من العُلَماءِ من صان عِلمَه عن الدُّنيا، وطلب به الآخِرةَ، والكثيرُ من العُلَماءِ قد افتَتَن بعِلمِه، والحُكماءُ قليلٌ، كأنَّه يقولُ: ما أعَزَّ من طَلَب بعِلمِه الآخِرةَ ". (أخلاق العُلَماء ص: ٩١).

١٤- *وقال ابنُ حزمٍ-رحمه الله-:* " لذَّةُ العاقِلِ بتمييزِه، ولذَّةُ العالِمِ بعِلمِه، ولذَّةُ الحكيمِ بحِكمتِه، ولذَّةُ المجتَهِدِ للهِ عزَّ وجَلَّ باجتهادِه أعظَمُ من لذَّةِ الآكِلِ بأكلِه، والشَّارِبِ بشُربِه، والواطِئِ بوَطئِه، والكاسِبِ بكَسبِه، واللَّاعِب بلَعِبِه، والآمِرِ بأمرِه ". (الأخلاق والسير في مداواة النفوس ص: ١٣).

١٥- *وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله- عن الحِكمةِ:* " كلُّ نظامِ الوُجودِ مرتَبِطٌ بهذه الصِّفةِ، وكُلُّ خَلَلٍ في الوجودِ وفي العبدِ فسَبَبُه الإخلالُ بها؛ فأكمَلُ النَّاسِ أوفَرُهم نصيبًا، وأنقَصُهم وأبعَدُهم عن الكمالِ أقلُّهم منها ميراثًا ". (مدارج السالكين لابن القيم:٢/٤٤٩).

ومن فضل وفوائدُ الحِكمةِ كذلك:

١- أنَّها طريقٌ إلى معرفةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ، موصِلةٌ إليه، مقرِّبةٌ منه.

٢- أنَّها سمةٌ من سماتِ الأنبياءِ والصَّالحين، وعلامةٌ للعُلَماءِ العامِلين، ومزيَّةٌ للدُّعاةِ المُصلِحين.

٣- **من أهمِّ فوائِدِ الحِكمةِ، الإصابةُ في القَولِ والسَّدادُ في العَمَلِ:** فالحِكمةُ تدعو صاحِبَها للعَمَلِ على وَفقِ الشَّرعِ، فيصيبُ في القولِ والفِعلِ والتَّفكيرِ، ويسيرُ على هدًى وبصيرةٍ. **قال أبو القاسِمِ الجُنَيدُ بنُ محمَّدٍ، وقد سُئِل:** بم تأمُرُ الحِكمةُ؟ قال:" تأمُرُ الحِكمةُ بكُلِّ ما يُحمَدُ في الباقي أثَرُه، ويَطيبُ عِندَ جملةِ النَّاسِ خَبَرُه، ويؤمَنُ في العواقِبِ ضَرَرُه ". **(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم:٢٦١/١٣).**

٤- أنَّها ترفَعُ الإنسانَ دَرَجاتٍ وتُشَرِّفُه، وتزيدُ من مكانتِه بَيْنَ النَّاسِ؛ **فعن مالِكِ بنِ دينارٍ قال:**" قرأتُ في بعضِ كُتُبِ اللهِ: أنَّ الحِكمةَ تزيدُ الشَّريفَ شَرَفًا، وترفَعُ المملوكَ حتى تجلِسَه مجالِسَ الملوكِ ".

(الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه لأبي هلال العسكري ص: ٥٠).

٥- فيها دلالةٌ على كمالِ عَقلِ صاحِبِها وعُلوِّ شأنِه، وهذا يجعَلُه قريبًا من النَّاسِ، محبوبًا لهم، يقولُ فيسمعون، ويأمُرُ فيُطيعون.

٦- تعطي العبدَ نفاذًا في البصيرةِ، وتهذيبًا للنَّفسِ، وتزكيةً للرُّوحِ، ونقاءً للقَلبِ.

٧- تكسو العبدَ بثوبِ الوَقارِ، وتحَلِّيه بحِليةِ الهَيبةِ، وتخلَعُ عليه ثيابَ البهاءِ والإجلالِ.

٨- يكونُ صاحبُها كالغيثِ حيثما حلَّ نفع، وأينما وُضِع أفاد، فيتعلَّمُ منه الكبيرُ والصَّغيرُ، ويكونُ مصدَرَ خيرٍ بإذنِ اللهِ تعالى.

٩- تحفَظُ الإنسانَ عن ارتكابِ السُّوءِ أو التَّلفُّظِ به، أو ارتكابِ المحذوراتِ، أو التَّجنِّي على الغيرِ، أو عَمَلِ ما يضطرُّه للاعتذارِ وطَلَبِ العفوِ؛ **قال أبو القاسمِ الجنيدُ بنُ محمَّدٍ، وقد سُئِل** عمَّا تنهى الحِكمةُ؟ فقال:" الحِكمةُ تنهى عن كُلِّ ما يحتاجُ أن يُعتَذَرَ منه، وعن كُلِّ ما إذا غاب عِلمُه عن غيرِك أحشَمَك ذِكرُه في نفسِك ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:٢٦١/١٠).**

٤- فضل الحلم[١]:

أولًا: فضل الحلم من القرآنِ الكريم:

وردَت آياتٌ قرآنيَّةٌ كثيرةٌ تُشيرُ إلى صفةِ الحِلمِ، ووصَف اللهُ نَفسَه بالحِلمِ، وسمَّى نَفسَه الحَليمَ، ووردَت آياتٌ تدعو المُسلِمينَ إلى التَّحلِّي بهذا الخُلقِ النَّبيلِ، وعَدمِ المُعامَلةِ بالمِثلِ ومُقابَلةِ الإساءةِ بالإساءةِ، والحثِّ على الدَّفعِ بالتي هي أحسَنُ، والتَّرغيبِ في الصَّفحِ عن الأذى والعَفوِ عن الإساءةِ.

١- قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤) .

قال ابنُ كثيرٍ -رحمه الله- في تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾:" أي: لا يُعمِلونَ غضبَهم في النَّاسِ، بل يكُفُّونَ عنهم شرَّهم، ويحتسِبونَ ذلك عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ أي: معَ كفِّ الشَّرِّ يَعفونَ عمَّن ظلَمهم في أنفُسِهم، فلا يبقى في أنفُسِهم مَوجِدةٌ على أحدٍ، وهذا أكمَلُ الأحوالِ؛ ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، فهذا مِن مقاماتِ الإحسانِ ". (تفسير القرآن العظيم:٢/١٢٢).

٢- وقال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)

والأمرُ بالإعراضِ عن الجاهِلينَ حضٌّ على التَّخلُّقِ بالحِلمِ، والتَّنزُّهِ عن مُنازَعةِ السُّفَهاءِ، وعلى الإغضاءِ عمَّا يسوءُ. (البحر المحيط في التفسير لأبي حيان:٥/ ٢٥٦).

٣- وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (فصلت: ٣٤)

أي: إذا أحسنْتَ إلى مَن أساء إليك قادَته تلك الحَسنةُ إليه إلى مُصافاتِك ومحبَّتِك، والحُنوِّ عليك، حتَّى يصيرَ كأنَّه وليٌّ لك حميمٌ، أي: قريبٌ إليك مِن الشَّفقةِ عليك والإحسانِ إليك، ثُمَّ قال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ (فصلت: ٣٥)، أي: وما يقبَلُ هذه الوَصيَّةَ ويعمَلُ بها إلَّا مَن صبَر على ذلك؛ فإنه يشُقُّ على النُّفوسِ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُوْ حَظٍّ عَظِيمٍ أي: ذو نصيبٍ وافِرٍ مِن السَّعادةِ في الدُّنيا والآخِرةِ.

قال عليُّ بنُ أبي طَلحةَ قال ابنِ عبَّاسٍ -رضِي اللهُ عنهما- في تفسيرِ هذه الآيةِ: أمَر اللهُ المُؤمِنينَ بالصَّبرِ عندَ الغَضبِ، والحِلمِ عندَ الجَهلِ، والعفوِ عندَ الإساءةِ، فإذا فعَلوا ذلك عصَمهم اللهُ مِن الشَّيطانِ، وخضَع لهم عدوُّهم كأنَّه وليٌّ حميمٌ . (جامع البيان لابن جرير الطبري:٢٠/ ٤٣٢) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٧/١٨١).

١ـ موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

٤- قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٣)،

قال الحَسنُ -رحمه الله-:" حُلَماءُ، إن جُهِل عليهم لم يجهَلوا ". (تفسير يحيى بن سلام:١/ ٤٨٩).

٥- قال تعالى: ﴿ وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (الرعد: ٢٢)، يُقالُ: يَدفَعونَ بالحِلمِ جَهلَ الجاهِلِ.

(تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني:٤/ ١٤٧).

ثانياً: فضل الحلم مِن السُّنَّة النَّبوِيَّة:

١- أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأشَجِّ عبدِ القيسِ: " **إنَّ فيك لَخَصلتَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ: الحِلمُ[(١)] والأناةُ... ".**

ودلَّ الحديثُ على التَّرغيبِ في التَّخلُّقِ بهاتَينِ الخَصلتَينِ (الحِلمِ والأناةِ) لمحبَّةِ اللهِ تعالى لهما.

٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: " **ليس الشَّديدُ بالصُّرَعةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يملِكُ نَفسَه عندَ الغَضَبِ ".**

قال ابنُ عبدِ البَرِّ -رحمه الله-:" في هذا الحديثِ مِن الفِقهِ: فَضلُ الحِلمِ، وفيه دليلٌ على أنَّ الحِلمَ: كِتمانُ الغيظِ، وأنَّ العاقِلَ مَن ملَك نَفسَه عندَ الغضبِ؛ لأنَّ العقلَ في اللُّغةِ: ضبطُ الشَّيءِ وحَبسُه منه ".

(التمهيد:٦/٣٢٢).

٣- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي مسعودٍ ﷺ قال: رسولُ اللهِ ﷺ: " **لِيَلِني منكم أولو الأحلامِ[(٢)] والنُّهى ".**

٤- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي مسعودٍ الأنصاريِّ ﷺ قال: " **كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِن خَلْفِي صَوْتًا: اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عليه، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هو رَسولُ اللهِ ﷺ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، هو حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقالَ: أَما لو لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ ".**

فالنبي ﷺ يقول لأبي مسعودٍ الأنصاريِّ ﷺ مُحرِّضًا له على التَّحلُّمِ والصَّفحِ وتَركِ مُكافأةِ الجاهِلِ، فقال:" **اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ! لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عليه**" فالمعنى: لَلَّهُ أقدَرُ عليك بالعُقوبةِ مِن قُدرتِك على ضَربِه، ولكنَّه يحلُمُ إذا غضِب، وأنت لا تقدِرُ على الحِلمِ والعفوِ عنه إذا غضِبْتَ!

(شرح سنن أبي داود لابن رسلان:١٩/ ٤٥٣).

٥- وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائِشَةَ -رضِي اللهُ عنها- قالت: " **وما انتقَم رسولُ اللهِ ﷺ لنَفسِه، إلَّا أن تُنتهَكَ حُرمةُ اللهِ، فينتقِمَ للهِ بها ".**

وفي هذا الحديثِ الحَثُّ على العفوِ والحِلمِ واحتِمالِ الأذى. (شرح مسلم للنووي:١٥/ ٨٤).

١- الحِلمُ: تأخيرُ مُكافأةِ مَن ظلَمك، هذا هو الأصلُ، ويُستعمَلُ في العَفوِ عن الذَّنبِ (المفاتيح في شرح المصابيح:٥/ ٢٤٤). وقيل: الحِلمُ هنا هو العَقلُ. (شرح النووي على مسلم:١/ ١٨٩).

٢- أولو الأحلامِ أي: ذَوو الألبابِ والعُقولِ، واحِدُها: حِلمٌ بالكَسرِ، فكأنَّه مِن الحِلمِ: الأناةُ والتَّثَبُّتُ في الأمورِ، وذلك مِن شعائِرِ العُقلاءِ، وواحِدُ النُّهى: نُهْيةٌ بالضَّمِّ، سُمِّي العقلُ بذلك؛ لأنَّه ينهى صاحِبَه عن القَبيحِ. (حاشية على سنن النسائي للسيوطي:٢/ ٨٧).

ثالثًا: فضل الحلم من أقوالِ السَّلفِ والعُلَماءِ:

١- *قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ:* " ليس الخيرُ أن يكثُرَ مالُك وولدُك، ولكنَّ الخيرَ أن يكثُرَ عِلمُك، ويعظُمَ حِلمُك، وأن تُباهيَ النَّاسَ بِعبادةِ ربِّك، فإن أحسَنْتَ حمِدْتَ اللهَ، وإن أسأْتَ استغفَرْتَ اللهَ ".

(رواه أبو نعيم في حلية الأولياء:٧٥/١) (والبيهقي في الزهد الكبير:٢٧٦).

٢- *وقال عُمرُ ﷺ:* " أيَّتُها الرَّعيَّةُ! إنَّ لنا عليكم حقًّا؛ النَّصيحةَ بالغَيبِ، والمُعاوَنةَ على الخيرِ، وإنَّه ليس مِن شيءٍ أحَبَّ إلى اللهِ وأعَمَّ نَفعًا مِن حلِمِ إمامٍ ورِفقِه، وليس شيءٌ أبغَضَ إلى اللهِ مِن جَهلِ إمامٍ وخُرْقِه". (رواه هناد في الزهد:٦٠٢/٢) (والطبري في التاريخ:٢٢٤/٤).

- *وقال أيضًا ﷺ:* " تعلَّموا العِلمَ، وتعلَّموا للعِلمِ السَّكينةَ والحِلمَ ".

(رواه وكيع في الزهد ص: ٥٣٨) (وأحمد في الزهد) (والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى:٥٣٩)

٣- *وقال ابنُ مسعودٍ ﷺ:* " وينبغي لحاملِ القرآنِ أن يكونَ باكيًا محزونًا حليمًا سَكينًا، ولا ينبَغي لحاملِ القرآنِ أن يكونَ جافيًا ولا غافِلًا ولا صخَّابًا ولا ضاحِكًا ولا حديدًا ".

(رواه ابن أبي شيبة)(وأحمد في الزهد:٨٩٢) (وأبو نعيم في حلية الأولياء:١٣٠/١)

٤- *وقال مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ-رضِي اللهُ عنهما-:* " لا يبلُغُ الرَّجلُ مَبلَغَ الرَّأيِ حتَّى يغلِبَ حِلمُه جَهلَه، وصبرُه شَهوتَه، ولا يبلُغُ ذلك إلَّا بقوَّةِ الحِلمِ ".

(رواه ابن أبي الدنيا في الحلم:١٣) (وابن عساكر في تاريخ دمشق:١٨٤/٥٩).

- *وقال مُعاوِيةُ أيضًا ﷺ لعَرَابَةَ بنِ أَوسٍ:* " بِمَ سُدْتَ قومَك؟ قال: كنْتُ أحلُمُ عن جاهِلِهم، وأُعطي سائِلَهم، وأسعى في حوائِجِهم ". (المصدر السابق:٣٩).

- *وقال أيضًا:* " عليكم بالحِلمِ والاحتِمالِ حتَّى تُمكِنَكم الفُرصةُ، فإذا أمكنَتْكم فعليكم بالصَّفحِ والإفضالِ".

(ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين:١٨٤/٣).

٥- *وقال أبو الدَّرداءِ ﷺ:* " ليس الخيرُ أن يكثُرَ مالُك وولدُك، ولكنَّ الخيرَ أن يعظُمَ حِلمُك، ويكثُرَ عِلمُك، وأن تُناديَ النَّاسَ في عِبادةِ اللهِ، فإذا أحسَنْتَ حمِدْتَ اللهَ، وإذا أسأْتَ استغفَرْتَ اللهَ ".

(رواه ابن أبي شيبة) (وأبو نعيم في حلية الأولياء:٢١٢/١) (وابن عساكر في تاريخ دمشق:١٥٨/٤٧).

٦- *وقال عبدُ اللهِ بنُ عُمرَ-رضِي اللهُ عنهما-:* " نحن- مَعشَرَ قُرَيشٍ- نعُدُّ الحِلمَ والجودَ السُّؤدُدَ ".

(ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية:٢١٥/٢).

٧- *وسُئِلَ عَمرُو بنُ الأهتَمِ-رحمه اللهُ-:* " أيُّ الرِّجالِ أشجَعُ؟ قال: مَن ردَّ جَهلَه بحِلمِه ".

(رواه ابن أبي الدنيا في الحلم:٢٢).

٨- *وقال عبدُ الملكِ لرجُلٍ مِن قُرَيشٍ:* " إنَّا نعُدُّ الحِلمَ وإعطاءَ المالِ سُؤدُدًا ".

(إصلاح المال لابن أبي الدنيا ص: ٣٤٣).

٩- *وقال الحَسنُ البَصريُّ-رحمه اللهُ-:* " اطلُبوا العِلمَ وزيِّنوه بالوَقارِ والحِلمِ ".

(ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين:١٧٨/٣).

- ***قال الحَسنِ أيضًا:*** " المُؤمِنُ حليمٌ لا يجهَلُ وإن جُهِل عليه، حليمٌ لا يظلِمُ، وإن ظُلِم غفَر، لا يقطَعُ، وإن قُطِع وصَل، لا يبخَلُ، وإن بُخِل عليه صبَر ".

(رواه ابن أبي الدنيا في الحلم ص: ٥٣) (شعب الإيمان للبيهقي:٩/ ١١٦).

١٠- ***وقال أكثَمُ بنُ صَيفيٍّ-رحمه الله-:*** " دِعامةُ العقلِ الحِلمُ، وجِماعُ الأمرِ الصَّبرُ، وخيرُ الأمورِ العَفوُ" **(رواه ابن أبي الدنيا في الحلم:١٦).**

١١- ***وقال رجاءُ بنُ أبي سَلَمةَ-رحمه الله-:*** " الحِلمُ خَصلةٌ مِن خِصالِ العقلِ ". **(المصدر السابق).**

لذا قيل:" العاقِلُ هو مَن يغلِبُ حِلمُه جَهلَه ". **(العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص: ٤٢).**

١٢- ***وقال مُحمَّدُ بنُ عليٍّ-رحمه الله-:*** " مَن حلُم وقى عِرضَه، ومَن جادت كَفُّه حسُن ثناؤه، ومَن أصلَح مالَه استغنى، ومَن احتمَل المكروهَ كثُرَت محاسِنُه، ومَن صبَر حُمِد أمرُه، ومَن كظَم غَيظَه فشا إحسانُه، ومَن عفا عن الذُّنوبِ كثُرَت أياديه، ومَن اتَّقى اللهَ كفاه ما أهَمَّه ". **(العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي:١/١٨١).**

١٣- ***وقال مُعاويةُ بنُ قُرَّةَ-رحمه الله-:*** " مكتوبٌ في الحِكمةِ: لا تُجالِسْ بحِلمِك السُّفَهاءَ، ولا تُجالِسْ بسَفَهِك الحُلَماءَ ". **(رواه ابن أبي الدنيا في الحلم ص: ٥١) (الحلية لأبي نعيم الأصبهاني:٢/ ٣٠١).**

١٤- ***وقال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ-رحمه الله-:*** " العِلمُ خليلُ المُؤمِنِ، والحِلمُ وزيرُه، والعَقلُ دليلُه، والعَملُ قيمتُه، والصَّبرُ أميرُ جُنودِه، والرِّفقُ أبوه، واللِّينُ أخوه ". **(رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق:٦٣/٣٨٨).**

١٥- ***وقال عَطاءُ بنُ يَسارٍ-رحمه الله-:*** " ما أوى شيءٌ إلى شيءٍ أزيَنُ مِن حِلمٍ إلى عِلمٍ ".

(المسند للدارمي:١/ ٤١١) (المدخل للبيهقي:٢/ ٧٣٨) (الزهد لعبد الله بن المبارك ص: ٤٧٠)

١٦- ***وقال سفيانُ-رحمه الله-:*** " ما تقلَّد امرؤٌ قلادةً أحسنَ مِن حِلمٍ، فهو محمودٌ عاجلُه وآجلُه ".

(محاضرات الأدباء للراغب:١/ ٢٧٦)

١٧- ***وأوصَى عبدُ الملكِ بنُ صالحٍ ابنًا له، فقال:*** " أيْ بنيَّ، احلُمْ؛ فإنَّ مَن حلُم ساد، ومَن تفهَّم ازداد ". **(البيان والتبيين للجاحظ:٣/ ٣٠٦).**

١٨- ***وقال شبيبُ بن شيبةَ-رحمه الله-:*** " مَن سمِع كلمةً يكرهُها فسكَت انقطَع عنه ما يكرهُه، وإنْ أجاب سمِع أكثرَ ممَّا يكرهُ ". **(تاريخ بغداد للخطيب:١٠/ ٣٨٠).**

١٩- ***وقال الأحنَفُ-رحمه الله- لرجُلٍ سألَه ما الحِلمُ؟ فقال:*** هو الذُّلُّ تصبِرُ عليه ".

(تاريخ دمشق لابن عساكر:٢٤/ ٣٣٠).

٢٠- ***وقال أبو هِلالٍ العَسكَريُّ-رحمه الله-:*** " أجمَعُ كلماتٍ سمِعْناها في الحِلمِ ما سمعْتُ عمَّ أبي يقولُ: الحليمُ ذليلٌ عزيزٌ، وذلك أنَّ صورةَ الحليمِ صورةُ الذَّليلِ الذي لا انتِصارَ له، واحتِمالُ السَّفهِ والتَّغافُلِ عنه في ظاهِرِ الحالِ ذُلٌّ، وإن لم يكنْ به ". **(ديوان المعاني:١/ ١٣٣).**

- ***وقال أبو هِلالٍ العَسكَريُّ أيضًا*** :" ومِن أشرَفِ نُعوتِ الإنسانِ أن يُدعى حليمًا؛ لأنَّه لا يُدعاه حتَّى يكونَ عاقِلًا، وعالِمًا، ومُصطبِرًا مُحتسِبًا، وعفُوًّا، وصافِحًا، ومُحتمِلًا وكاظِمًا، وهذه شرائِفُ الأخلاقِ، وكرائِمُ السَّجايا والخِصالِ ". **(ديوان المعاني:١/ ١٣٥).**

٢١- ***وقال ابنُ حبَّانَ-رحمه الله-:*** " إنَّ مِن نَفاسةِ اسمِ الحِلمِ وارتِفاعِ قَدرِه أنَّ اللهَ جلَّ وعلا تسمَّى به ". **(روضة العقلاء ص: ٢٠٩).**

٢٢- ***وقال ابنُ تيميَّةَ-رحمه الله-:*** " وكمالُ الشَّجاعةِ هو الحِلمُ ". **(مجموع الفتاوى:١٥/ ٤٣٢).**

- ***وقال أيضًا:*** " دَرَجةُ الحِلمِ والصَّبرِ على الأذى والعفوِ عن الظُّلمِ أفضَلُ أخلاقِ أهلِ الدُّنيا ". **(الصارم المسلول لابن تيمية ص: ٢٣٤).**

٢٣- ***وقال العَتَّابيُّ-رحمه الله-:*** " الحِلمُ معُاوِنُ السَّلامةِ، ومُفارِقُ الملامةِ ". **(سنن الصالحين للباجي ص: ٤١٦).**

٢٤- ***وقال عيسى بنُ دينارٍ-رحمه الله-:*** " كتَب بعضُ أهلِ العِلمِ إلى رجُلٍ مِن إخوانِه: اعلَمْ أنَّ الحِلمَ لِباسُ العِلمِ، فلا تَعرَيَنَّ منه ". **(سنن الصالحين للباجي ص: ٤١٧).**

٢٥- ***وقال طاووس-رحمه الله-:*** " ما جُعِل العِلمُ -أو ما حُمِل العِلمُ- في مِثْلِ جِرابِ حِلمٍ ". **(تاريخ بغداد للخطيب:٣/ ٣٢٢).**

٢٦- ***وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ-رحمه الله-:*** " كان يُقالُ: مِن أخلاقِ الأنبياءِ والأصفياءِ الأخيارِ الطَّاهِرةِ قُلوبُهم خلائِقُ ثلاثةٌ: الحِلمُ، والإنابةُ، وحَظٌّ مِن قِيامِ اللَّيلِ ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/ ٩٥).**

٢٧- ***وقال العِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ-رحمه الله-:*** " الحليمُ هو الذي لا يَعجَلُ بعُقوبةِ المُذنِبينَ؛ فاحلُمْ عن كُلِّ مَن آذاك وظلَمك، وسبَّك وشتَمك؛ فإنَّ مولاك صبورٌ حليمٌ، بَرٌّ كريمٌ، يقبَلُ التَّوبةَ عن عِبادِه، ويعفو عن السَّيِّئاتِ، ويعلَمُ ما تفعَلونَ ". **(شجرة المعارف والأحوال ص: ٣٩)**

٢٨- ***وقال الأصمَعيُّ-رحمه الله-:*** " يجتمِعُ عَشَرةُ آلافٍ فيهم ألفُ مُقاتِلٍ أو أكثَرُ، ويجتمِعُ ألفٌ ليس فيهم حليمٌ ". **(المجالسة للدينوري :٨/ ٣٣).**

ومن فضل وفوائدُ الحِلم كذلك:

١- بالحلم يَكسِبُ المرءُ محبَّةَ اللهِ ورِضوانَه.

٢- يعمَلُ على تآلُفِ القُلوبِ ونَشرِ المحبَّةِ بَينَ النَّاسِ.

٣- يُزيلُ البَغضاءَ بَينَ النَّاسِ، ويمنَعُ الحَسدَ. (نضرة النعيم:١٧٥٢/٥).

٥- يُؤدِّي الحِلمُ إلى عواقِبَ محمودةٍ؛ لذا قيل:" أفضَلُ ما أُعطِي الرَّجلُ الحِلمُ " (نهاية الأرب للنويري:٦/ ٤٦).
وقيل:" الحِلمُ مَطيَّةٌ وَطيئةٌ، تُبلِّغُ راكِبَها قاصِيةَ المجدِ، وتُملِّكُه ناصِيةَ الحَمدِ ". (نهاية الأرب للنويري:٦/ ٤٦).

٤- الحليمُ عظيمُ الشَّأنِ، رفيعُ المكانِ، محمودُ الأمرِ، مَرضِيُّ الفِعلِ. (روضة العقلاء لابن حبان :٢٠٨).

٦- ***ويُنسَبُ لعليٍّ -رحمه الله- أنه قال:*** " أوَّلُ عِوضِ الحليمِ عن حِلمِه أنَّ النَّاسَ أنصارُه على الجاهِلِ".
(الحلم لابن أبي الدنيا ص: ٢٧) (العقد الفريد لابن عبد ربه:١٨٢/١).

٧- الحليمُ له القوَّةُ في التَّحكُّمِ في انفِعالاتِه: **وقد أخرج البخاري من حديث أبي هُريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ليس الشَّديدُ بالصُّرَعةِ، إنَّما الشَّديدُ الذي يملِكُ نَفسَه عندَ الغَضبِ ".**

٨- أحلى العيشِ يكونُ بالحِلمِ؛ قال بعضُ الفُضَلاءِ:" ما وجدْتُ لَذَّةً هي عندي ألَذُّ مِن غَيظٍ أتجرَّعُه، وسَفَهٍ بحِلمٍ أقمَعُه ". (نهاية الأرب للنويري:٦/ ٤٦).

٩- تَركُ اكتِسابِ المعاصي والدُّخولِ في المواضِعِ الدَّنِسةِ. (روضة العقلاء لابن حبان ص: ٢٠٩).

١٠- الوَقارُ والسَّكينةُ ثمَرةُ الحِلمِ ونتيجتُه. (إعلام الموقعين لابن القيم:٦/ ١٠٧).

١١- حَسمُ مادَّةِ الشَّرِّ، وقيل أنه كان بَينَ حَسنِ بنِ حَسنٍ، وبَينَ عليِّ بنِ الحُسَينِ شيءٌ، فجاء حَسنٌ، فما ترَك شيئًا إلَّا قاله، وعليٌّ ساكِتٌ، فذهَب حَسنٌ، فلمَّا كان اللَّيلُ أتاه عليٌّ، فقرَع بابَه، فخرَج إليه، فقال له: يا بنَ عمِّي، إن كنْتَ صادِقًا فغفَر اللهُ لي، وإن كنْتَ كاذِبًا فغفَر اللهُ لك، السَّلامُ عليك، فالتزَمه حَسنٌ، وبكى حتَّى رُثِي له ". (تاريخ الإسلام للذهبي:٢/ ١١٤٧).

١٢- مَدعاةٌ لارعِواءِ الجاهِلِ؛ **فعن عبدِ اللهِ بنِ بكرٍ المُزَنيِّ قال:**" جاء رجُلٌ فشتَم الأحنَفَ فسكَت عنه، وأعاد فسكَت، فقال: والَهْفاه! ما يمنَعُه مِن أن يرُدَّ عليَّ إلَّا هَواني عليه ". (عيون الأخبار لابن قتيبة:١/ ٣٩٧).

١٣- بالحِلمِ يتمكَّنُ المرءُ مِن تثبيتِ نَفسِه عندَ الخيرِ، فيُؤثِرُه ويصبِرُ عليه، وعندَ الشَّرِّ فيصبِرُ عنه.
(إعلام الموقعين عن رب العالمين:١٠٧/٦).

٦- فضل الرحمة(١):

أولًا: فضل الرحمة من القُرآنِ الكريم:

ذكَرَ اللهُ هذه الصِّفةَ العظيمةَ في غيرِ ما آيةٍ من كتابِه الكريمِ، إمَّا في مَعرِضِ تسَمِّيه واتِّصافِه بها، أو في مَعرِضِ الامتنانِ على العبادِ بما يُسبغُه عليهم من آثارِها، أو تذكيرِهم بسَعتِها، أو من بابِ المدحِ والثَّناءِ على المتَّصِفين بها المتحَلِّين بمعانيها، أو غيرِ ذلك من السِّياقاتِ، ومن ذلك:

١- تسَمِّيه جَلَّ وعلا باسمِ الرَّحمنِ والرَّحيمِ، واتِّصافُه بصفةِ الرَّحمةِ؛ وهذا كثيرٌ جِدًّا في القرآنِ، نذكُرُ منه على سبيلِ المثالِ لا الحَصرِ: **قولُه تعالى:** ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (الفاتحة:٣)، فقد سمَّى اللهُ نفسَه بهذينِ الاسمينِ المشتَمِلينِ على صفةِ الرَّحمةِ؛ **قال ابنُ عبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عنهما-:** " هما اسمانِ رقيقانِ، أحدُهما أرَقُّ من الآخَرِ، أي: أكثَرُ رحمةً ". (معالم التنزيل للبغوي:١/٥١).

٢- ومن ذلك أنَّ اللهَ جعَلَ هذه الصِّفةَ لصفوةِ خَلقِه، وخيرةِ عبادِه، وهم الأنبياءُ والمُرسَلون، ومن سار على نهجِهم من المصلِحين؛ **فقد قال اللهُ تعالى ممتَنًّا على رسولِه ﷺ على ما ألقاه في قَلبِه من فُيوضِ الرَّحمةِ، جعلَتْه يَلينُ للمؤمِنين، ويرحمُهم ويعفو عنهم، ويتجاوَزُ عن أخطائِهم:** ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران: ١٥٩) أي: بسَبَبِ رحمةِ اللهِ تعالى لك ولأصحابِك يا محمَّدُ ألانَ قلبَك لهم؛ فكُنتَ سَهلًا ورقيقًا في تعامُلِك معهم. (التفسير المحرر- الدرر السنية:٢/٦١٠).

٣- ومن ذلك ثناءُ اللهِ سُبحانَه على المتَّصِفين بالرَّحمةِ والمتخَلِّقين بها؛ فقد قال تعالى واصِفًا رسولَه ﷺ وأصحابَه الذين معه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩). فهم أشِدَّاءُ على الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهم، بحَسَبِ ما يقتضيه منهم إيمانُهم؛ فالإيمانُ باللهِ واليومِ الآخِرِ متى تغلغَلَ في القلبِ حقًّا، غرَس فيه الرَّحمةَ بمقدارِ قُوَّتِه وتغلغُلِه. (الأخلاق الإسلامية وأسسها لعبد الرحمن الميداني:٢/١٩).

٤- وقال تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ(١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ(١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ(١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ(١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ(١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ(١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ(١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ (البلد: ١١ - ١٨).

قال الطَّاهِرُ بنُ عاشورٍ -رحمه اللهُ-: " خَصَّ بالذِّكرِ مِن أوصافِ المُؤمنين تواصيَهم بالصَّبرِ، وتواصيَهم بالمرحمةِ؛ لأنَّ ذلك أشرَفُ صفاتِهم بعد الإيمانِ؛ فإنَّ الصَّبرَ مِلاكُ الأعمالِ الصَّالحةِ كُلِّها؛ لأنَّها لا تخلو من كَبحِ الشَّهوةِ النَّفسانيَّةِ، وذلك من الصَّبرِ. والمَرحمةُ مِلاكُ صَلاحِ الجماعةِ الإسلاميَّةِ؛ قال تعالى: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)، والتَّواصي بالرَّحمةِ فضيلةٌ عظيمةٌ، وهو أيضًا كنايةٌ عن اتِّصافِهم بالمرحمةِ؛ لأنَّ مَن يوصي بالمَرحَمةِ هو الذي عَرَف قَدْرَها وفَضْلَها، فهو يفعَلُها قبل أن يوصِيَ بها.

(التحرير والتنوير:٣٠/٣٦١).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

٥- وقال تعالى في بيانِ نعمتِه على الأزواجِ بتهيئتِه سُبحانَه أسبابَ الرَّحمةِ بَيْنَهم: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

قال الواحِديُّ-رحمه الله-: " جعَل بَيْنَ الزَّوجينِ المودَّةَ والرَّحمةَ، فهما يتوادَّانِ ويتراحمانِ، وما من شيءٍ أحَبُّ إلى أحدِهما من الآخَرِ من غيرِ رَحِمٍ بَيْنَهما ". (التفسير الوسيط:٣/٤٣١).

ثانياً: فضل الرحمة من السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

١- أمَّا السُّنَّةُ فقد استفاضت نصوصُها الدَّاعيةُ إلى الرَّحمةِ، الحاثَّةُ عليها، المرَغِّبةُ فيها إمَّا نصًّا أو مفهومًا، كيف لا؟! وصاحِبُها ﷺ هو نبيُّ الرَّحمةِ، **كما وصف نفسَه، فقال:** " **أنا محمَّدٌ، وأحمَدُ، والمُقفِّي**[1]**، والحاشِرُ**[2]**، ونبيُّ التَّوبةِ، ونبيُّ الرَّحمةِ** ". (رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعريِّ ﷺ).

٢- وأخرج البخاري ومسلم من حديث النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسولُ الله ﷺ:

" ترى المُؤمِنين في تراحُمِهم وتوادِّهم وتعاطُفِهم كمثَلِ الجسَدِ؛ إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائرُ جسَدِه بالسَّهَرِ والحُمَّى ".

يقولُ النَّوويُّ-رحمه الله- معلِّقًا على هذا الحديث: " هذه الأحاديثُ صريحةٌ في تعظيمِ حُقوقِ المُسلِمين بعضِهم على بعضٍ، وحثِّهم على التَّراحُمِ والملاطَفةِ والتَّعاضُدِ في غيرِ إثمٍ ولا مكروهٍ ".

(شرح النووي على مسلم:١٦/١٣٩).

وقال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-: " قال ابنُ أبي جَمرةَ: الذي يظهَرُ أنَّ التَّراحُمَ والتَّوادُدَ والتَّعاطُفَ، وإن كانت متقاربةً في المعنى لكنْ بينها فرقٌ لطيفٌ؛ فأمَّا التَّراحُمُ فالمرادُ به أن يرحَمَ بعضُهم بعضًا بأخوَّةِ الإيمانِ، لا بسَبَبِ شيءٍ آخَرَ، وأمَّا التَّوادُدُ فالمرادُ به التَّواصُلُ الجالِبُ للمحبَّةِ، كالتَّزاوُرِ والتَّهادي، وأمَّا التَّعاطُفُ فالمرادُ به إعانةُ بعضِهم بعضًا، كما يعطِفُ الثَّوبَ عليه ليُقَوِّيَه ". اهـ ملخَّصًا.

(فتح الباري لابن حجر:١٠/٤٣٩) (بهجة النفوس لابن أبي جمرة:٤/١٥٧).

٣- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: **" قبَّل رسولُ اللهِ ﷺ الحَسَنَ بنَ عليٍّ، وعندَه الأقرَعُ بنُ حابِسٍ التَّميميُّ جالسًا، فقال الأقرَعُ: إنَّ لي عَشَرةً من الوَلَدِ ما قبَّلْتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسولُ اللهِ ﷺ، ثمَّ قال: من لا يرحَمْ لا يُرحَمْ ".**

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله- بعدَ أن ذَكَر عددًا من الأحاديث، وذَكَر هذا الحديثَ من جملتِها: " في هذه الأحاديثِ الحضُّ على استعمالِ الرَّحمةِ للخَلقِ كُلِّهم كافِرِهم ومُؤمِنِهم، ولجميعِ البهائِمِ، والرِّفقِ بها، وأنَّ ذلك ممَّا يغفِرُ اللهُ به الذُّنوبَ، ويُكَفِّرُ به الخطايا؛ فينبغي لكلِّ مُؤمِنٍ عاقِلٍ أن يرغَبَ في الأخذِ بحَظِّه من الرَّحمةِ، ويستعمِلَها في أبناءِ جِنسِه وفي كُلِّ حيوانٍ ". (شرح صحيح البخاري:٩/٢١٩).

١- المُقفِّي: كُلُّ من تبِع شيئًا فقد قفَّاه، فسُمِّيَ المُقفيَ؛ لأنَّه تَبِع الأنبياءَ. (كشف المشكل من حديثِ الصحيحين لابن الجوزي:١/ ٤٢٣).

٢- الحاشِرُ: الذي يُحشَرُ النَّاسُ على قَدَميه، أي: يَقدَمُهم وهم خَلْفَه. (المصدر السابق).

وقد دلَّ الواقِعُ والمشاهَدةُ أنَّ من لا يرحَمُ النَّاسَ ولا يعطِفُ عليهم إذا صادف موقِفًا يحتاجُ فيه إلى رحمتِهم، فإنَّهم لا يرحمونَه ولا يَعطِفون عليه، وقد ذُكِرَ أنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ الملِكِ كان يقولُ:" الرَّحمةُ خَوَرٌ في الطَّبيعةِ، وضَعفٌ في المُنَّةِ، ما رَحِمتُ شيئًا قَطُّ! فكانوا يطعَنون عليه في دينِه بهذا القولِ، فلمَّا وُضِعَ في الثَّقَلِ والحديدِ، قال: ارحموني! فقالوا له: وهل رَحِمتَ شيئًا قطُّ فتُرحَمَ؟! هذه شهادتُك على نفسِك وحُكمُك عليها! ". (الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني:٢٣/٥٧).

٤- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشةَ-رَضِيَ اللهُ عنها- قالت:* **جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: تُقَبِّلون الصِّبيانَ فما نُقَبِّلُهم! فقال النَّبيُّ ﷺ: أو أَملِكُ لك أن نَزَع اللهُ مِن قَلبِك الرَّحمةَ؟!".**

قال ابنُ بطَّالٍ-رحمه الله-:" رحمةُ الوَلَدِ الصَّغيرِ ومعانقتُه وتقبيلُه والرِّفقُ به: من الأعمالِ التي يرضاها اللهُ ويجازي عليها، ألا ترى قولَه عليه السَّلامُ للأقرَعِ بنِ حابسٍ حينَ ذَكَر عِندَ النَّبيِّ ﷺ أنَّ له عَشَرةً من الوَلَدِ ما قَبَّل منهم أحدًا:" **من لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ** ". (رواه البخاري ومسلم من حديثِ أبي هُرَيرةَ ﷺ) فدلَّ أن تقبيلَ الولَدِ الصَّغيرِ وحَمْلَه والتَّحفِّيَ به ممَّا يستحِقُّ به رحمةَ اللهِ ". (شرح صحيح البخاري:٩/٢١١)

٥- *وأخرج الإمام أحمد أبو داود والترمذي من حديث عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:*" **الرَّاحمون يرحَمُهم الرَّحمنُ، ارحَموا أهلَ الأرضِ يرحمْكم مَن في السَّماءِ** ".

(صحيح سنن أبي داود:٤٩٤١) (وصحَّحه لغيره شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:٤٩٤١) (صحيح الجامع:٣٥٢٢)

فندب ﷺ إلى الرَّحمةِ والعَطفِ على جميعِ الخَلقِ من جميعِ الحيواناتِ على اختلافِ أنواعِها، في غيرِ حديثٍ، وأشرَفُها الآدميُّ وإذا كان كافِرًا، فكُنْ رحيمًا لنفسِك ولغيرِك، ولا تستَبِدَّ بخيرِك؛ فارحَمِ الجاهِلَ بعِلمِك، والذَّليلَ بجاهِك، والفقيرَ بمالِك، والكبيرَ والصَّغيرَ بشَفَقتِك ورأفتِك، والعُصاةَ بدعوتِك، والبهائِمَ بعطفِك، فأقربُ النَّاسِ من رحمةِ اللهِ أرحمُهم بخَلقِه؛ فمَن كَثُرَت منه الشَّفَقةُ على خَلقِه، والرَّحمةُ على عبادِه، رحمه اللهُ برحمتِه، وأدخَله دارَ كرامتِه، ووقاه عذابَ قبرِه، وهولَ مَوقِفِه، وأظلَّه بظِلِّه؛ إذ كُلُّ ذلك من رحمتِه ". (شرح صحيح البخاري:٢/٥٠).

٦- *وأخرج الإمام أحمد والبخاري في" الأدب المفرد" والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:*" **ارْحمُوا تُرحَمُوا، واغْفِرُوا يُغفَرْ لكُمْ، ويْلٌ لأقماعِ القولِ، ويلٌ للمُصرِّينَ الذين يُصِرُّونَ على ما فعلُوا وهمْ يَعلمُونَ** ". (صحيح الجامع: ٨٩٧)

وقوله ﷺ:" **ارْحَموا تُرْحَموا**": أي تَخلَّقوا بخُلُقِ الرَّحمةِ بينكم مع الكَبيرِ والصَّغيرِ، والحُرِّ والعبدِ وحتى مع الخادِمِ بل حتَّى مع الحَيوانِ؛ فيَرْحَمُكم اللهُ عزَّ وجلَّ في الدُّنْيا والآخِرَة.

٧- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث جَرِيرِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* **" لا يرحَمُ اللهُ مَن لا يرحَمُ النَّاسَ... ".**

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ:" **مَن لا يَرحَمْ**" فلا يَتعطَّفْ على غيرِه، ولا يَرأَفْ بهم، إنْسانًا كان أو حَيوانًا،" **لا يُرحَمْ**"، فلا يَستحِقَّ أنْ يَرحَمَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، والظَّاهِرُ أنَّه إخْبارٌ بأنَّه لا يَرحَمُهُ اللهُ، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ دُعاءً، والمَعْنى: أنَّه لا يَكونُ مِن الفائِزِينَ بالرَّحْمةِ الكامِلةِ، والسَّابِقينَ إلى دارِ الرَّحْمةِ، وإلَّا فرحْمتُهُ وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ، والرَّحْمةُ نَوْعانِ: رَحْمةٌ غَريزيَّةٌ، وقد جبَلَ اللهُ بَعضَ العِبادِ عليها، وجعَلَ في قُلوبِهم الرَّأْفةَ والحَنانَ والرَّحْمةَ على الخَلْقِ؛ ففعَلوا بمُقتَضى هذه الرَّحْمةِ ما يَقدِرونَ عليه من نَفْعِهِم بحَسَبِ استِطاعَتِهِم؛ فهُم مَحْمودونَ مُثابونَ على ما قاموا به، مَعْذورونَ على ما عَجَزوا عنه. ورَحْمةٌ مُكتَسَبَةٌ بسُلوكِ كُلِّ طريقٍ ووَسيلةٍ تَجعَلُ القَلبَ على هذا الوَصفِ، وهذا مِن أجَلِّ مَكارِمِ الأخْلاقِ وأكمَلِها، وعلى العَبدِ أنْ يُجاهِدَ نفسَهُ على الاتِّصافِ به، وهذه الرَّحْمةُ التي في القُلوبِ تَظهَرُ آثارُها على الجَوارِحِ واللِّسانِ في السَّعيِ في إيصالِ الخَيرِ والمَنافِعِ إلى النَّاسِ، وإزالةِ الأضْرارِ والمَكارِهِ عنهم. (الدرر السنية)

يقول السَّعديُّ-رحمه الله-: " رحمةُ العبدِ للخَلقِ مِن أكبَرِ الأسبابِ التي تُنالُ بها رحمةُ اللهِ، التي من آثارِها خيراتُ الدُّنيا وخيراتُ الآخرةِ، وفقدُها من أكبَرِ القواطعِ والموانعِ لرحمةِ اللهِ، والعبدُ في غايةِ الضَّرورةِ والافتقارِ إلى رحمةِ اللهِ، لا يستغني عنها طَرفةَ عَينٍ، وكلُّ ما هو فيه من النِّعَمِ واندفاعِ النِّقَمِ من رحمةِ اللهِ؛ فمتى أراد أن يستبقيَها ويستزيدَ منها فلْيَعمَلْ جميعَ الأسبابِ التي تُنالُ بها رحمتُه، وتجتَمِعُ كُلُّها في **قولِه تعالى:** ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (الأعراف:٥٦)، وهم المحسِنون في عبادةِ اللهِ، المحسِنون إلى عبادِ اللهِ. والإحسانُ إلى الخَلقِ أثَرٌ من آثارِ رحمةِ العبدِ بهم ". (بهجة قلوب الأبرار ص: ٢٦٩).

واستفاضت الأحاديثُ الدَّالَّةُ على الرَّحمةِ بمفهومِها، وهي لا تكادُ تُحصى، وذلك لأنَّه ما من معاملةٍ من المعاملاتِ أو رابطةٍ من الرَّوابطِ الاجتماعيَّةِ أو الإنسانيَّةِ، إلَّا وأساسُها وقِوامُ أمرِها الرَّحمةُ.

فمِن عَلاقةِ الإنسانِ بنفسِه التي بَيْنَ جنبَيه، وعلاقتِه بذَوِيه وأهلِه، إلى عَلاقتِه بمجتَمَعِه المحيطِ به، إلى معامَلتِه لجميعِ خَلقِ اللهِ من إنسانٍ أو حيوانٍ، كُلُّ ذلك مبنيٌّ على هذا الخُلُقِ الرَّفيعِ، والسَّجيَّةِ العظيمةِ.

٨- *وأخرج أبو يعلى من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* **" والذي نفسي بيدِه، لا يضعُ اللهُ رحمتَهُ إلا على رحيمٍ"، قالوا: يا رسولَ اللهِ! كلُّنا يرحمُ، قال:" ليس برحمةِ أحدِكم صاحِبَه يرحمُ الناسَ كافَّةً ".**(الصحيحة الجامع: ١٦٧)

٩- *وأخرج الطبراني والحاكم من حديث أبو موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* **" لَنْ تُؤْمِنُوا حتى تراحمُوا"، قالوا: يا رسولَ اللهِ! كلُّنا رَحِيمٌ. قال:" إنَّهُ ليس بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صاحِبَهُ، ولَكِنَّها رَحْمَةُ العَامَّةِ".** (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٥٣)

١٠- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **" ليسَ منَّا من لَم يَرحَمْ صغيرَنا[١]، ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا[٢] ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ١٠٠)

- ورواه الطبراني من حديث واثلة بن الأسقع الليثي أبو فسيلة ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **" ليس منا من لم يرحمْ صغيرَنا، ويُجِل كبيرنا ".** (صحيح الترغيب والترهيب:١٠٢)

- وفي رواية: **" ليس منا من لم يرحمْ صغيرَنا، ويُوَقِّرْ كبيرَنا ".** (صحيح الجامع: ٥٤٤٥)

- وفي رواية: **" ليسَ منَّا منْ لمْ يُجِلَّ كبيرَنا، ويرحمْ صغيرَنا، ويعرفْ لعالِمِنَا حقَّهُ ".**

قال المباركفوري -رحمه الله- في تحفة الأحوذي: قوله ﷺ:" **ليسَ منَّا**" قيل: أي ليس على طريقتنا، وهو كناية عن التبرئة،" **من لم يرحمْ صغيرَنا**" أي: من لا يكون من أهل الرحمة لأطفالنا،" **ويُوَقِّرْ**" من التوقير أي لم يعظم،" **كبيرَنا**" هو شامل للشاب والشيخ ". اهـ

وجاء في فيض القدير للمناوي: قوله ﷺ:" **ليسَ منَّا**" أي: ليس مثلنا" **من لم يرحمْ صغيرَنا**" لعجزه وبراءته عن قبائح الأعمال، وقد يكون صغيرًا في المعنى مع تقدم سنه لجهله وغباوته وخرقه وغفلته؛ فيرحم بالتعليم والإرشاد والشفقة" **ويُوَقِّرْ كبيرَنا**" لما خص به من السبق في الوجود وتجربة الأمور ". اهـ

٨- وأخرج البخاري ومسلم من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:
"... ولا يَرْحَمُ اللَّهُ مِن عِبادِهِ إلَّا الرُّحَمَاءَ ".

- وعند الطبراني بلفظ: **" إنَّما يرحمُ اللهُ من عبادِه الرُّحماءَ ".** (صحيح الجامع: ٢٣٨١)

وقَولُه ﷺ:" **الرُّحماءُ**": جمع رحيمٍ، من صِيَغِ المبالغةِ، ومقتضاه: أنَّ رحمةَ اللهِ تختصُّ بمن اتَّصَف بالرَّحمةِ وتحقَّق بها بخِلافِ من فيه أدنى رحمةٍ، **لكن ثبت في حديثِ عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو -رضي الله عنهما- عند أبي داودَ وغيرِه:**" **الراحمون يَرحمُهم الرَّحمنُ**"، والراحمون جمعُ راحمٍ، فيدخُلُ كُلُّ من فيه أدنى رحمةٍ.

- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **" لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلا مِن شِقِيٍّ[٣] ".** (صحيح أبي داود: ٤٩٤٢) (صحيح الجامع: ٧٤٦٧)

١- رحمة الصغير: بحسن التعامل معه، بأن يرحم صغر سنه، وقلة خبرته، واعتماده على غيره، وكثرة غفلة وخوفه، وأيضاً بالشفقة عليه والإحسان إليه وملاعبته.
٢ - ويعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا: بإعطائه حقه من سبق الوجود وكثرة التجارب والخبرة في الحياة، ولتقدمه في السن يلزم من ذلك حسن مخاطبته، وأن ينادى بما يليق به من الأسماء، وأن يكرم في المجلس والحديث والتعامل.
٣- والرَّحمة: هي الشَّفقةُ ولِينُ القَلبِ ورِقَّتُه على الخَلائقِ، والمعنى: لا تُسلَبُ هذه الرَّحمةُ والشَّفقةُ إلَّا مِن شَقِيٍّ؛ لأَنَّ الرَّحْمة عَلامةُ الإيمانِ، ومَن لا رَحمةَ عنده فلا علامةَ إيمانٍ له، ومَن لا إيمانَ له فهو شَقيٌّ.

١٠- *وأخرج الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:* " إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قام على بابِ البيتِ ونحن فيه فقال:" الأئمةُ من قُريشٍ[١]، إنَّ لي عليكم حقًّا، وإنَّ لهم عليكم حقًّا[٢]، مثلَ ذلك؛ ما إن استُرحِموا رَحِموا[٣]، وإن عاهَدوا وفُوا[٤]، وإن حكمُوا عدَلوا، فمن لم يفعلْ ذلك منهم فعليهِ لعنةُ اللهِ، والملائكةِ، والناسِ أجمَعين[٥] ".

- *وفي رواية:* " الأئمةُ من قريشٍ، ولهم عليكم حقٌّ، ولكم مثلُ ذلك[٦]، ما إن استُرحِموا رحِموا، وإن استُحكِموا عدَلوا[٧]، وإن عاهدوا وفُوا، فمن لم يفعلْ ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ، والملائكةِ، والناسِ أجمعِين، لا يُقبَلُ منه صرفٌ ولا عدلٌ[٨] ". (صحيح الجامع: ٢٧٥٨)

وفي الحديثِ: حثُّ الأُمَراءِ على إقامَةِ العَدلِ والرَّحمَةِ بين النَّاسِ، وأنَّ هذا مِن أوجَبِ الأُمورِ عليهم.

- **والرحمة العامة تشمل أيضًا الحيوانات:**

١٣- *فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث قرة بن إياس المزني ﷺ قال:* قال رجل: يا رسولُ اللهِ! إني لَأذبحُ الشاةَ فأرحمُها، أو قال: إني لأرحمُ الشاةَ أن أذبحَها[٩]، قال: والشاةَ أن رحمتَها، رحمَك اللهُ"، (مرتَين). (صحيح الأدب المفرد: ٣٧٣) (الصحيحة:٣٦)

١٤- *وأخرج البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ إِذ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ فَخَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ[١٠] يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ[١١]، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ[١٢]، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ قَالَ: فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ[١٣]".

١- الأئِمَّةُ من قُرَيشٍ: والمُرادُ بالإمامِ هنا الإمامُ الأعظَمُ الذي هو خَليفةُ المُسلمينَ، لا وُلاتُه، ووُزَراؤُه، وأعْوانُه؛ فهؤلاء لا يُشترَطُ فيهم القُرَشيَّةُ بالاتِّفاقِ؛ ولعلَّ ذلك لأنَّ قُرَيشًا سادةُ العَرَبِ، ويَدينون لها ما لا يَدينون لغَيرِها، ومن مَقاصِدِ الإمامةِ قُوَّةُ النُّفوذِ، وهَيبَةُ السُّلطانِ؛ لتَحقيقِ المَصلَحَةِ العامَّةِ للأُمَّةِ، ودَفْعِ الشُّرورِ عنها، وهذا إنَّما يَتَحقَّقُ في الإمامِ أَصيلِ النَّسَبِ، وليس المقصودُ به التَّبرُّكَ بالأنْسابِ من قُرَيشٍ، وهذا يدُلُّ على أنَّ القُرَشيَّ أوْلَى بالإمامَةِ من غَيرِه إذا توفَّرَتْ فيه شُروطُ الإمامَةِ، ولا يَعني تَوليةَ القُرَشيِّ ولو لم تتوفَّرْ فيه شُروطُ الإمامَةِ؛ وذلك إنَّما يكونُ عندَ الاختيارِ بين إمامَينِ، وأمَّا إذا تولَّى الكُفُؤُ وهو غَيرُ قُرَشيٍّ، فلم يَقُلْ أحدٌ بعَدَمِ صِحَّةِ إمامَتِه، بل المُسلِمُ مَأمورٌ بطاعَتِه.

٢- لهم عليكم حَقٌّ: وهو السَّمعُ والطَّاعةُ في المعروف

٣- ما إنِ استُرحِموا رَحِموا: أي: إذا طُلِبَتْ منهم الرَّحمَةُ أجابوا ورَحِموا.

٤- وإنْ عاهَدوا وَفَوْا: أي: لا يَنقُضون العُهودَ والمَواثيقَ.

٥ - فمَن لم يَفعَلْ ذلك منهم، فعليه لَعنَةُ اللهِ، والملائكةِ، والنَّاسِ أجمعينَ: أي: فمَن ظَلَمَ وتجبَّرَ وطَغَى، فعليه لَعنَةُ اللهِ، واللَّعنُ هو الطَّردُ من رَحمَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، والملائكةِ أي: أنَّ الملائكةَ أيضًا تَلعَنُه وكذلك جَميعُ النَّاسِ يَلْعنونه بالدُّعاءِ عليه بالطَّردِ من رحمةِ اللهِ تعالى.

٦- لكم مِثْلُ ذلك: أي: لكم حَقٌّ عليهم، والمقصودُ أنَّ للرَّعيَّةِ حَقَّ الرِّعايَةِ وتَنظيمِ أُمورِ دِينِهم ودُنياهم

٧- وإنِ استُحكِموا عَدَلوا: فلم يَجوروا في حُكمٍ من الأحكامِ.

٨- لا يُقبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ: أي: لا يَقبَلُ اللهُ عزَّ وجلَّ منه تَوبَةً ولا فِديَةً، وقيل: لا يَقبَلُ منه نافِلَةً ولا فَريضَةً، وهذا يَدُلُّ على المُبالَغَةِ في ذَمِّ الظُّلمِ، وأنَّ مَن فعَلَ ذلك فإنَّ له عذابًا أليمًا.

٩- إنِّي لَأَرحَمُ الشَّاةَ أنْ أذبَحَها: أي: يَرْحَمُها عندَ ذَبحِها بأنْ يَستعمِلَ معها الآدابَ الشَّرعيَّةَ في الذَّبحِ؛ كأنْ يُحِدَّ السِّكِّينَ، وأنْ يُريحَ الذَّبيحةَ، وأنْ يُسرِعَ في الذَّبحِ، وألَّا يَذْبَحَها أمامَ أُخْتِها، ونحوُ ذلك.

١٠- يَلهَثُ، فيُخرِجُ لِسانَه مِنَ العَطَشِ يَكادُ يَموتُ منه.

١١- يَأكُل الثَّرى مِنَ الْعَطَشِ: أي: يَلعَقُ بفَمِه الأرضَ النَّديَّةَ بسَببِ العطشِ.

١٢- فمَلَأَ خُفَّه: والخُفُّ ما يُلبَسُ في الرِّجلَينِ من جِلدٍ رَقيقٍ.

١٣- في كلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أجرٌ: والمعْنى: في كلِّ شَيءٍ فيه رُوحٌ ثَوابٌ ما دام الإنسانُ يُحسِنُ إليه، وعَبَّرَ بالكَبِدِ؛ لأنَّها العُضوُ الَّذي يَحتاجُ إلى الماءِ، فإذا يَبِسَ هلَكَ الحَيوانُ؛ فكُلُّ بَهيمةٍ أحسَنْتَ إليها بسَقيٍ، أو إطعامٍ، أو وِقايةٍ مِن حَرٍّ أو بَرْدٍ، سواءٌ كانت لك، أو لغَيرِك مِن بني آدَمَ، أو ليست مِلكًا لأحَدٍ، فإنَّ لك في ذلك أجرًا عندَ اللهِ.

- *وعند ابن حبان بلفظ:* " دنا رجلٌ إلى بئرٍ، فنزل فشرب منها، وعلى البئر كلبٌ يلهثُ، فرحمه، فنزع أحَدَ خُفَّيه فسقاه؛ فشكر اللهُ له، فأدخلَه الجنَّةَ ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٧٦)

١٥- *أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:* " بيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ برَكِيَّةٍ[١]، كادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِن بَغايا بَنِي إسْرائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَها فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لها به.

- *وفي رواية في الصحيحين بلفظ:* " غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ[٢]، مَرَّتْ بكَلْبٍ علَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فأوْثَقَتْهُ بخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ له مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بذلكَ ".

١٦- *وأخرج الإمام مَالِكٍ عَنْ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فِي وَجَعِهِ فَقَالَ:* يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَرَأَيْتَ الضَّالَّةَ تَرِدُ عَلَى حَوْضِ إِبِلِي، هَلْ لِي فِيهَا مِنْ أَجْرٍ إِنْ سَقَيْتُهَا؟ قَالَ:" نَعَمْ فِي الْكَبِدِ الْحَرَّى أَجْرٌ".

١٧- *وأخرج الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ:* أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا أَبَدًا، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيْهِ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ، أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ[٣]، فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ[٤]، فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرَاتَهُ[٥] وَذِفْرَاهُ[٦] فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللَّهُ، إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ ". (صحيح أبي داود: ٢٥٤٩)

ثالثًا: فضل الرحمة من أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ وغَيرِهم:

١- *قال الأحنَفُ بنُ قَيسٍ-رحمه الله-:* " رأسُ مُروءةِ الوالي خِصالٌ ثلاثٌ: حُبُّ العِلمِ والعُلَماءِ، ورحمةُ الضُّعَفاءِ، والاجتهادُ في مصلحةِ العامَّةِ ". (تاريخ دمشق لابن عساكر: ٢٤/٣٤٦).

٢- *وقال سَهلٌ التُّستَريُّ-رحمه الله-:* " أركانُ الدِّينِ: النَّصيحةُ والرَّحمةُ، والصِّدقُ والإنصافُ والتَّفضُّلُ، والاقتداءُ بالنَّبيِّ ﷺ، والاستعانةُ باللهِ على ذلك إلى المماتِ ". (حلية الأولياء لأبي نعيم: ١٠/١٩٢).

٣- *وقال الحَسَنُ-رحمه الله-:* " لأهلِ التَّقوى علاماتٌ يُعرَفون بها: صِدقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، والإيفاءُ بالعهدِ، وقِلَّةُ الفَخرِ والخُيَلاءِ، وصِلةُ الرَّحِمِ، ورَحمةُ الضُّعَفاءِ ". (الحلم لابن أبي الدنيا ص: ٣٥).

١ـ برَكيَّة: أي: بِئرٍ.
٢ـ مُومِسة :هي المرأةُ الزَّانيةُ المجاهِرةُ بالفُجورِ.
٣ـ الْحَائِشُ: حَائِطُ النَّخْلِ وَالْحَدِيقَةُ مِنْهُ.
٤ـ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ: أي قَطَرَتْ دُمُوعُهُمَا قَطْرًا ضَعِيفًا.
٥ـ السَّرَاةُ: الظَّهْرُ.
٦ـ الذِّفْرَى: مَا وَرَاءَ الْأُذُنَيْنِ.

٤- ***وقال ذو النُّونِ-رحمه الله-:*** " ثلاثةٌ من أعلامِ الرَّحمةِ للخَلقِ: انزواءُ العَقلِ للملهوفين، وبكاءُ القلبِ لليتيمِ والمسكينِ، وفقدانُ الشَّماتةِ بمصائِبِ المُسلِمين، وبذلُ النَّصيحةِ لهم متجرِّعًا لمرارةِ ظُنونِهم، وإرشادُهم إلى مصالحِهم وإن جَهِلوه وكَرِهوه ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٩/٣٦١).

٥- ***وقال إبراهيمُ بنُ أدهَمَ-رحمه الله-:*** " خرَجْتُ أريدُ بيتَ المقدِسِ، فلَقِيتُ سَبعةَ نَفَرٍ فسَلَّمتُ عليهم وقُلتُ: أفيدوني شيئًا لعَلَّ اللهَ ينفعُني به، فقالوا: انظُرْ كُلَّ قاطعٍ يقطَعُك عن اللهِ من أمرِ الدُّنيا والآخرةِ فاقطَعْه، فقُلتُ: زيدوني رَحِمَكم اللهُ، قالوا: انظُرْ ألَّا ترجوَ أحدًا غيرَ اللهِ ولا تخافَ غيرَه، فقُلتُ: زيدوني رحِمَكم اللهُ، قالوا: انظُرْ كُلَّ من يحِبُّه فأحِبَّه، وكُلَّ من يُبغِضُه فأبغِضْه، قُلتُ: زيدوني رَحِمَكم اللهُ، قالوا: عليك بالدُّعاءِ والتَّضرُّعِ والبكاءِ في الخلَواتِ، والتَّواضُعِ والخُضوعِ له حيثُ كنتَ، والرَّحمةِ للمُسلِمين والنُّصحِ لهم ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٨/٢٥).

٦- ***وقال أبو سُلَيمانَ الدَّارانيُّ-رحمه الله-:*** " الرِّضا عن اللهِ عزَّ وجَلَّ، والرَّحمةُ للخَلقِ: دَرَجةُ المُرسَلين".
(حلية الأولياء:٩/ ٢٦٢).

٧- ***وقال الماوَرديُّ-رحمه الله-:*** " أسبابُ الحِلمِ الباعثةُ على ضَبطِ النَّفسِ عَشَرةٌ: أحَدُها: الرَّحمةُ للجُهَّالِ، وذلك من خيرٍ يوافِقُ رِقَّةً، وقد قيل في منثورِ الحِكَمِ: من أوكَدِ الحِلمِ رحمةُ الجُهَّالِ ".
(أدب الدنيا والدين ص: ٢٥٢).

٨- ***وقال أبو العبَّاسِ القُرطبيُّ-رحمه الله-:*** " مَن خَلَق اللهُ تعالى في قلبِه الرَّحمةَ الحامِلةَ له على الرِّفقِ، وكَشْفِ ضُرِّ المبتلَى، فقد رَحِمه اللهُ سُبحانَه وتعالى بذلك في الحالِ، وجعل ذلك علامةً على رحمتِه إيَّاه في المآلِ، ومن سَلَب اللهُ ذلك المعنى منه، وابتلاه بنقيضِ ذلك من القَسوةِ والغِلظةِ، ولم يَلطُفْ بضعيفٍ، ولا أشفَقَ على مبتلًى، فقد أشقاه في الحالِ، وجعل ذلك عَلَمًا على شِقوتِه في المآلِ، نعوذُ باللهِ من ذلك! ".
(المفهم:٦/١٠٩).

٩- ***وقال المُهَلَّبُ-رحمه الله-:*** " الرَّحمةُ التي خلَقَها اللهُ لعبادِه وجعَلَها في نفوسِهم في الدُّنيا، هي التي يتغافَرون بها يومَ القيامةِ التَّبِعاتِ بَيْنَهم ". (فتح الباري لابن حجر:١٠/٤٣٢).

١٠- ***وقال السَّعديُّ-رحمه الله-:*** " وعلامةُ الرَّحمةِ الموجودةُ في قلبِ العبدِ أن يكونَ محِبًّا لوصولِ الخيرِ لكافَّةِ الخَلقِ عُمومًا، وللمُؤمِنين خصوصًا، كارِهًا حُصولَ الشَّرِّ والضَّرَرِ عليهم، فبَقدرِ هذه المحبَّةِ والكراهةِ تكونُ رحمتُه ". (بهجة قلوب الأبرار ص: ١٨٩).

١١- ***وقال عبدُ الرَّحمنِ الميدانيُّ-رحمه الله-:*** " إنَّ الرَّحيمَ يُؤلِمُه جِدًّا أن يشهَدَ آلامَ مُستحِقِّ الرَّحمةِ، ثمَّ لا يُفيضُ له بعطاءٍ يدفَعُ عنه آلامَه، أو يخَفِّفُ له منها، وهذا هو خُلُقُ المُؤمِنين الذين ربَّاهم الإسلامُ عليه". (الأخلاق الإسلامية وأسسها:٢/٦).

١٢- *وقال مصطفى لطفي المنفلوطيّ-رحمه الله-:* " إنَّ الرَّحمةَ كَلِمةٌ صغيرةٌ، ولكِنْ بَيْنَ لفظِها ومعناها من الفَرْقِ مِثلُ ما بَيْنَ الشَّمسِ في مَنظَرِها، والشَّمسِ في حقيقتِها. لو تراحَم النَّاسُ لَمَا كان بَيْنَهم جائعٌ ولا مغبونٌ، ولا مهضومٌ، ولأقفَرَت الجفونُ من المدامِعِ، ولاطمأنَّت الجنوبُ في المضاجِعِ، ولمَحَتِ الرَّحمةُ الشَّقاءَ من المجتمَعِ، كما يمحو لسانُ الصُّبحِ مِدادَ الظَّلامِ. أيُّها الإنسانُ ارحَمِ الأرملةَ التي مات عنها زوجُها، ولم يترُكْ لها غيرَ صِبيةٍ صِغارٍ، ودُموعٍ غِزارٍ، ارحَمْها قبل أن ينالَ اليأسُ منها، ويَعبَثَ الهمُّ بقَلبِها، فتؤثِرَ الموتَ على الحياةِ. ارحَمِ الزَّوجةَ أمَّ وَلَدِك، وقعيدةَ بيتِك، ومرآةَ نفسِك، وخادمةَ فِراشِك؛ لأنها ضعيفٌ، ولأنَّ اللهَ قد وكَل أمرَها إليك، وما كان لك أن تَكذِبَ ثقتَه بك. ارحَمْ وَلَدَك وأحسِنِ القيامَ على جِسمِه ونفسِه؛ فإنَّك إلَّا تفعَلْ قتَلْتَه أو أشقيتَه، فكنتَ أظلَمَ الظَّالمين. ارحَمِ الجاهِلَ، لا تتحَيَّنْ فرصةَ عَجزِه عن الانتصافِ لنفسِه، فتجمَعَ عليه بَيْنَ الجهلِ والظُّلمِ، ولا تتَّخِذْ عَقلَه مَتجَرًا تربحُ فيه؛ ليكونَ من الخاسرينَ. ارحَمِ الحيوانَ؛ لأنَّه يُحِسُّ كما تحِسُّ، ويتألَّمُ كما تتألَّمُ، ويبكي بغيرِ دُموعٍ ويتوجَّعُ...

أيُّها السُّعَداءُ: أحسِنوا إلى البائسينَ والفُقَراءِ، وامسَحوا دموعَ الأشقياءِ، وارحَموا مَن في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ ". (مؤلفات مصطفى لطفي المنفلوطي الكاملة ص: ٨٨).

ومن فضل وفوائدُ الرَّحمةِ كذلك:

للتَّحلِّي بخُلُقِ الرَّحمةِ فوائِدُ عظيمةٌ وثمارٌ جليلةٌ، فما إن يتحَلَّى المُؤمِنُ بهذه الحِليةِ، ويتجَمَّلُ بهذه السَّجيَّةِ حتى تظهَرَ آثارُها وتؤتيَ أُكُلَها، ليس عليه فقط، بل عليه وعلى مَن حولَه، وسنَعرِضُ لبعضِ هذه الآثارِ **والفوائِدِ إجمالًا، فمن ذلك:**

١- أنَّها سَبَبٌ للتعرُّضِ لرحمةِ اللهِ، فأهلُها مخصوصون برحمتِه جزاءً لرحمتِهم بخَلقِه.

٢- محبَّةُ اللهِ للعبدِ، ومن ثَمَّ محبَّةُ النَّاسِ له.

٣- ومن فوائدِها أنَّ المتحَلِّيَ بها يتحَلَّى بخُلُقٍ تحلَّى به رسولُ اللهِ ﷺ.

٤- أنَّها تُشعِرُ المرءَ بصِدقِ انتمائِه للمجتَمَعِ المُسلِمِ، فمن لا يرحَمْ لا يستَحِقُّ أن يكونَ فردًا في المجتمَعِ أو جزءًا منه؛ **لذا قال رسولُ اللهِ ﷺ كما مر بنا:" ليس منَّا مَن لم يرحَمْ صغيرَنا، ويَعرِفْ شَرَفَ كبيرِنا ". رواه أبو داود والترمذي بلفظ:" ويَعرِفْ حَقَّ كبيرِنا"**، ورواه الإمام أحمد من حديثِ **عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو- رَضِيَ اللهُ عنهما- بلفظ:" يُوَقِّرْ كبيرَنا"**. (صحيح سنن الترمذي:١٩٢٠) (وشعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:٦٩٣٧)

٥- أنَّها ركيزةٌ عظيمةٌ، ينبني عليها مجتَمَعٌ مُسلِمٌ متماسِكٌ يحسُّ بعضُه ببعضٍ، ويعطِفُ بعضُه على بعضٍ، ويرحَمُ بعضُه بعضًا، وتشيعُ المحبَّةُ بَيْنَ أبنائِه.

٦- أنَّه على قَدرِ حَظِّ الإنسانِ من الرَّحمةِ تكونُ درجتُه عِندَ اللهِ تبارك وتعالى، وقد كان الأنبياءُ عليهم السَّلامُ أشَدَّ النَّاسِ رحمةً، وكان الرَّسولُ ﷺ أوفَرَهم حظًّا منها.

٧- أنَّها سبَبٌ لمغفرةِ اللهِ تبارك وتعالى وكريمِ عَفوِه، كما أنَّ نقيضَها سبَبٌ في سخَطِه وعذابِه.

٨- ومن فوائدِها أنَّها خُلُقٌ متعَدٍّ إلى جميعِ خَلقِ اللهِ.

٩- أنَّها سَبَبٌ للالتفاتِ إلى ضَعَفةِ المجتمَعِ؛ من الفقراءِ والمساكينِ، والأرامِلِ والأيتامِ، والكِبارِ والعَجَزةِ، وغيرِهم، والاهتمامِ بمعاناتِهم.

٧- فضل الرفق[١]:

أولًا: فضل الرفق من القرآن الكريم

١- قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

يقول تعالى مخاطِبًا رسولَه ﷺ، ممتنًّا عليه وعلى المُؤمنين فيما ألان به قلبَه على أمَّتِه، المتَّبعين لأمرِه، التَّاركين لزَجرِه، وأطاب لهم لفظَه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ أي: أيُّ شيء جعَلك لهم ليِّنًا لولا رحمةُ اللهِ بك وبهم . (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٢/١٤٨).

٢- وقال سُبحانه مخاطبًا الرَّسولَ ﷺ: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ٢١٥) أي: ارفُقْ بهم وألِنْ جانِبَك لهم. (معالم التنزيل للبغوي:٦/٢٠٧).

٣- وقال تعالى لموسى وأخيه هارون-عليهما السلام-: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى(٤٣) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه: ٤٣،٤٤) .

فقولُه تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ أي: سهلًا لطيفًا، برِفقٍ ولينٍ وأدَبٍ في اللَّفظِ من دونِ فُحشٍ ولا صَلَفٍ[٢]، ولا غِلظةٍ في المقالِ، أو فظاظةٍ في الأفعالِ؛ لَعَلَّهُ بسببِ القولِ اللَّيِّنِ يَتَذَكَّرُ ما ينفعُه فيأتيَه، أَوْ يَخْشَى ما يَضرُّه فيتركَه؛ فإنَّ القولَ اللَّيِّنَ داعٍ لذلك، والقولَ الغليظَ مُنفِّرٌ عن صاحبِه.

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.
٢- الصَّلَفُ: مجاوزةُ القَدْرِ في الظَّرفِ والبراعةِ، والادِّعاءُ فوق ذلك تكبُّرًا. (لسان العرب لابن منظور:٩/١٩٦).

(تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٥٠٦).

٤- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٥٤)

قال السعدي-رحمه الله-: " وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسله - أعزة، قد اجتمعت هممهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ **وقال تعالى:** ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾فالغلظة والشدة على أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتي هي أحسن. فتجتمع الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم.

ثانياً: فضل الرفق من السُّنَّة النَّبَويَّة:

١- أخرج البخاري ومسلم من حديث عائشةَ-رَضِيَ اللهُ عنها- قالت: **إنَّ يهودَ أتَوا النَّبيَّ ﷺ فقالوا: السَّامُ[1]عليكم. فقالت عائشةُ: عليكم، ولعنكم اللهُ وغَضِب اللهُ عليكم. قال:" مهلًا يا عائشةُ، عليكِ بالرِّفْقِ وإيَّاكِ والعُنفَ والفُحشَ. قالت: أوَ لم تسمَعْ ما قالوا؟ قال:" أو لم تسمَعي ما قُلتُ؟ ردَدْتُ عليهم فيُستجابُ لي فيهم ولا يُستجابُ لهم فيَّ ".**

٢- وفي روايةٍ في الصَّحيحَينِ أيضًا بلفظ: **" استأذَنَ رَهْطٌ من اليَهودِ على رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: السامُ عليكم، فقالت عائشةُ: بل عليكم السامُ واللَّعنةُ! فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" يا عائشةُ! إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه، قالت: ألم تَسمَعْ ما قالوا؟! قال:" قد قلتُ: وعليكم".**

- *وفي روايةٍ:* **" فقال: يا عائشةُ! إنَّ اللهَ رفيقٌ يحِبُّ الرِّفْقَ في الأمرِ كُلِّه ".** (رواه البخاري).

- *وفي روايةٍ:* **قال:" يا عائشةُ! إنَّ اللهَ رفيقٌ يحِبُّ الرِّفْقَ، ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يُعطي على العُنفِ، وما لا يُعطي على ما سِواه ".** (رواه مسلم)

- *وفي روايةٍ:* **" أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لها: يا عائشةُ! ارْفُقي[2]؛ فإنَّ اللهَ إذا أرادَ بأهلِ بَيتٍ خَيرًا، أدخَلَ عليهم الرِّفْقَ ".- وفي روايةِ الإمامِ أحمدَ:" دلَّهم على بابِ الرِّفْقِ".**

(صحيح الترغيب والترهيب:٢٦٦٩) (الصحيحة:١٢١٩) (صحيح الجامع:٣٠٣)

١- السَّامُ: يعني الموتَ. (فتح الباري لابن حجر:١/١٣٥).
٢- الرِّفْقُ: هو أنْ يتَّصِفَ الإنسانُ بلِينِ الجانبِ بالقَولِ، والفِعلِ والأَخْذِ بالسَّهلِ؛ فلا يكونُ فَظًّا ولا غليظًا

٣- *وأخرج الإمام مسلم من حديث جريرٍ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:* " مَن يُحرَمِ الرِّفْقَ يُحرَمِ الخيرَ ".

يعني أنَّ الإنسانَ إذا حُرِمَ الرِّفْقَ في الأمورِ فيما يتصَرَّفُ فيه لنفسِه، وفيما يتصَرَّفُ فيه مع غيرِه، فإنَّه يُحرَمُ الخيرَ كُلَّه، أي: فيما تصَرَّف فيه، فإذا تصرَّف الإنسانُ بالعُنفِ والشِّدَّة، فإنَّه يُحرَمُ الخيرَ فيما فعل، وهذا شيءٌ مجَرَّبٌ ومشاهَدٌ، أنَّ الإنسانَ إذا صار يتعاملُ بالعنفِ والشِّدَّةِ؛ فإنَّه يُحرَمُ الخيرَ ولا ينالُ الخيرَ، وإذا كان يتعامَلُ بالرِّفقِ والحِلمِ والأناةِ وسَعةِ الصَّدرِ، حصل على خيرٍ كثيرٍ، وعلى هذا فينبغي للإنسانِ الذي يريدُ الخيرَ أن يكونَ دائمًا رفيقًا حتى ينالَ الخيرَ ". (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين :٣/٥٩٢).

٤- *وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- قالت: سمعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ يقولُ في بيتي هذا:* " اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ من أمرِ أمَّتي شيئًا فشَقَّ عليهم، فاشقُقْ عليه، ومَن وَلِيَ مِن أمرِ أمَّتي شيئًا فرَفَق بهم، فارفُقْ به ".

وهذا من أبلَغِ الزَّواجِرِ عن المشقَّةِ على النَّاسِ، وأعظَمِ الحَثِّ على الرِّفْقِ بهم ".

(شرح النووي على مسلم:١٢/ ٢١٣).

٥- *وأخرج الإمام مسلم من حديث عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:* " إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانه[١]، ولا يُنزَعُ من شيءٍ إلَّا شانه[٢] ".

- *وأخرج الترمذي من حديث أبي الدَّرداءِ ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:* " مَن أُعطيَ حَظَّه من الرِّفْقِ فقد أُعطِيَ حَظَّه من الخيرِ، ومَن حُرِم حَظَّه من الرِّفْقِ حُرِم حَظَّه من الخيرِ[٣] ". (صحيح سنن الترمذي:٢٠١٣)

وقوله ﷺ:" مَن أُعطيَ حَظَّه من الرِّفْقِ فقد أُعطِيَ حَظَّه من الخيرِ، ومَن حُرِم حَظَّه من الرِّفْقِ حُرِم حَظَّه من الخيرِ". لأن به تُنالُ المطالِبُ الأُخرويَّةُ والدُّنيويَّةُ، وبفَوتِه يفوتانِ. (فيض القدير للمناوي:٦/٧٥).

٦- *وأخرج الإمام أحمد وأبو يعلى من حديث عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:* " إنَّهُ مَن أُعطِيَ حظَّهُ مِنَ الرِّفقِ، فقَدْ أُعطِيَ حظَّهُ من خيرِ الدُّنيا والآخرةِ، وصلةُ الرَّحِمِ، وحُسنُ الخُلُقِ وحُسنُ الجِوارِ، يُعمِّرانِ الدِّيارَ، ويَزيدانِ في الأعمارِ ". (السلسلة الصحيحة: ٥١٩) (صحيح الجامع:٣٧٦٧)

٧- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عنها- قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:* " ما خُيِّرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ إلَّا أخَذَ أيْسَرَهُمَا، ما لَمْ يَكُنْ إثْمًا، فإنْ كانَ إثْمًا كانَ أبْعَدَ النَّاسِ منه، وما انْتَقَمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ في شيءٍ قَطُّ، إلَّا أنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمَ بها لِلَّهِ ".

٨- *وأخرج الطبراني في" الكبير" من حديث أبي عنبة الخولاني ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:* " إنَّ للهِ آنيةً من أهلِ الأرضِ، وآنيةُ ربِّكم قلوبُ عبادِه الصالحين، وأحبُّها إليه ألينُها وأرَقُّها ". (السلسلة الصحيحة: ١٦٩١)

١- الزَّينُ: ضِدُّ الشَّين. (تاج العروس للزبيدي:٣٥/١٦٢).
٢- شانه يَشِينُه شَينًا: ضِدُّ زانه، أي: عابه. (المصدر السابق:٣٥/٢٩٩).
٣- ورواه الإمام أحمد مطوَّلًا دونَ ذِكرِ "ومَن حُرِم...". (قال شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد: بعضُه صحيحٌ، وبعضُه صحيحٌ لغيرِه).

٩- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:* " إنَّ اللهَ رفيقٌ يحِبُّ الرِّفْقَ في الأمرِ كُلِّه ".

وهذه النُّصوصُ التي مرَّت معنا تدُلُّ على أنَّ الرِّفْقَ في الأمورِ، والرِّفْقَ بالنَّاسِ، واللِّينَ والتَّيسيرَ: من جواهِرِ عُقودِ الأخلاقِ الإسلاميَّةِ، وأنَّها من صفاتِ الكَمالِ، وأنَّ اللهَ تعالى من صفاتِه أنَّه رفيقٌ، وأنَّه يحبُّ من عبادِه الرِّفْقَ، فهو يوصيهم به ويرغِّبُهم فيه، ويَعِدُهم عليه عطاءً لا يعطيه على شيءٍ آخَرَ، ويُفهَمُ من النُّصوصِ أنَّ العُنفَ شَينٌ خُلقيٌّ، وأنَّه ظاهرةٌ قبيحةٌ، وأنَّ اللهَ لا يحِبُّه من عبادِه.

(الأخلاق الإسلامية لعبد الرحمن الميداني:٢/٣٣٩).

١٠- *وأخرج والترمذي وابن حبان والطبراني من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ مسعود ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ:* " حَرُم على النارِ كلُّ هيِّنٍ[١]، لينٍ، سهلٍ[٢]، قريبٍ من الناسِ ". (صحيح الجامع:٢٦٠٩)

- وفي رواية:" أَلَا أُخْبِرُكم بمَن يَحْرُمُ على النَّارِ[٣]، وبمَن تَحْرُمُ عليه النَّارُ[٤]؟ على كلِّ قريبٍ، هيِّنٍ، سهْلٍ ". (رواه الترمذي)

- *وفي رواية:* " أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ ". (رواه الترمذي)

١١- *وأخرج الإمام مسلم من حديث عياض بن حمار المُجَاشِعِيِّ ﷺ قال: قال رسولِ الله ﷺ:*"... وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ[٥] مُقْسِطٌ[٦] مُتَصَدِّقٌ[٧] مُوَفَّقٌ[٨]، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ[٩] لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ[١٠] مُتَعَفِّفٌ[١١] ذُو عِيَالٍ[١٢] ".

١٢- *وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللهِ ﷺ:*" قام أعرابيٌّ فبالَ في المسجِدِ فتنَاوَلَهُ الناسُ فقالَ لهم رسولُ الله ﷺ دعُوهُ فأهْريقُوا[١٣] على بَوْلِهِ سَجْلَ ماءٍ أو ذَنُوبًا من ماءٍ فإنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرين ولَم تُبعَثُوا مُعسِّرِين ".

١- هَيِّنٍ: أي: يتَّصِفُ بالسُّكونِ والوَقارِ، واللِّينِ في تصرُّفاتِه مع النَّاسِ.
٢- سَهْلٍ: أي: سَهْلِ المُعامَلةِ والخُلُقِ، مُيسِّرٍ على النَّاسِ.
٣- أَلا أُخْبِرُكُمْ "بمَنْ يَحْرُمُ على النَّارِ"، أي: يُمْنَعُ ويُحْجَزُ عن دُخولِها، فيُعافى منها.
٤- وبمَنْ تَحْرُمُ عليه النَّارُ؟: أي: تُصْبِحُ النَّارُ مُحرَّمةً عليه فلا يَدْخُلُها، هي مِنْ بابِ التَّأكيدِ، فهي كالجُمْلةِ السَّابِقةِ.
٥- ذو سُلْطانٍ: ويَشمَلُ كلَّ مَن وَلِي أمرًا مِن أُمورِ المسْلِمين.
٦- مُقْسِطٌ: أي عادِلٍ، والقسط هو العدل. فيُقيمُ في رَعِيَّتِه العدْلَ والحقَّ.
٧- مُتصدِّقٌ: أي يَبذُلُ فيهم المالَ والعطاءَ، ولا يَكتنِزُ مِن أموالِهم شيئًا.
٨- مُوفَّقٌ: قدْ هُيِّئَت له أسبابُ الخيرِ، وفُتِحَ له أبوابُ البِرِّ.
٩- رجلٌ رَحيمٌ: أي كثيرُ الرَّحمةِ والإحسانِ على الصَّغيرِ والكبيرِ رقيقُ القلبِ ليِّنٌ عند التَّذكُّرِ والموعظةِ، فهو ذو رأفةٍ ورَحمةٍ لأقاربِه ولأهلِ الإسلامِ، فيَبذُلُ في جَميعِهم الخيرَ والعطاءَ وقَضاءَ الحوائجِ بما قدَّرَه اللهُ عزَّ وجلَّ عليه.
١٠- عَفيفٌ: أي مُتَّصفٌ بالعفَّةِ، مُجتَنِبٌ عمَّا لا يَحلُّ.
١١- مُتَعَفِّفٌ: - مُتعفِّفٌ: أي عَنِ السُّؤالِ، مُتوكِّلٌ على الملِكِ المتعالِ في أمْرِه، والعفيفُ مَن كانت العِفَّةُ سَجيَّةً وطَبيعةً له، والمتعفِّفُ مَن يُكلِّفُ نفْسَه بالعفَّةِ ويَكتسِبُها بعْدَ أنْ لم تكُنْ.
١٢- ذُو عِيالٍ: أي له مِن الأولادِ ونحوِهم ممَّا يَحتاجُون الإنفاقَ عليهم، إلَّا أنَّه لا يَحمِلُه حاجةُ العيالِ ولا خَوفُ رزقِهم على ترْكِ التَّوكُّلِ على اللهِ عزَّ وجلَّ، فلا يَسأَلُ النَّاسَ ما في أَيْدِيهم، بلْ يَبذُلُ نفْسَه في كَسبِ قوتِ يومِه.
١٣- أَهْريقوا عليه: أي: صُبُّوا على بولِه.

- *وعند الترمذي بلفظ:* " دخلَ أعرابِيٌّ المسجِدَ، والنبيُّ ﷺ جالِسٌ، فصلَّى، فلما فرغَ قال: اللهمَّ ارحمني ومحمدًا، ولَا ترحمْ معنا أحدًا، فالتفَتَ إليهِ النبيُّ ﷺ فقال:" لقدْ تَحجَّرْتَ واسعًا[١]، فلم يلبثْ أنْ بالَ فِي المسجِدِ، فأسرعَ إليه الناسُ، فقال النبي ﷺ:" أهْرِيقوا عليْهِ سَجْلًا مِنْ ماءٍ، أوْ دلْوًا مِنْ ماءٍ [٢]، ثُمَّ قال: " إنَّما بُعِثْتُم مُيَسِّرين ولَمْ تُبْعَثوا مُعَسِّرِيْنَ ".

١٣- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسولِ اللهِ ﷺ:* " يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا، ولا تُنَفِّرُوا ".

وقول النبي ﷺ:" بشِّروا، ولا تُنفِّروا": أي بشِّروا الناسَ بفضْلِ اللهِ تعالَى، وثَوابِه، وجَزيلِ عَطائِه، وسَعةِ رَحمتِه، ولا تُنفِّروا بذِكرِ التَّخويفِ، وأنواعِ الوَعيدِ، فيُتألَّفُ مَن قَرُبَ إسلامُه بتَرْكِ التَّشديدِ عليهم، وكذلك مَن قارَبَ البُلوغَ مِن الصِّبيانِ، ومَن بلَغَ وتابَ مِن المعاصي؛ يُتلطَّفُ بجَميعِهم بأنواعِ الطاعةِ قَليلًا قَليلًا، كما كانت أُمورُ الإسلامِ على التَّدريجِ في التَّكليفِ شيئًا بعْدَ شَيءٍ؛ لأنَّه متى يُسِّر على الداخلِ في الطاعةِ، أو المُريدِ للدُّخولِ فيها؛ سَهُلت عليه، وتَزايَدَ فيها غالبًا، ومتى عُسِّر عليه أوْشَكَ ألَّا يَدخُلَ فيها، وإنْ دخَلَ أوشَكَ ألَّا يَدومَ، أو لا يَستحمِلَها. وقد جمَعَ النبيُّ ﷺ في هذا الحديثِ بيْن خَيرَي الدُّنيا والآخرةِ؛ لأنَّ الدُّنيا دارُ الأعمالِ، والآخِرةَ دارُ الجزاءِ، فأمَرَ فيما يَتعلَّقُ بالدُّنيا بالتَّسهيلِ، وفيما يَتعلَّقُ بالآخِرةِ بالوعْدِ بالخيرِ والإخبارِ بالسُّرورِ؛ تَحقيقًا لكونِه رَحمةً للعالمينَ في الدارينِ.

ثالثًا: فضل الرفق من أقوالِ السلَّفِ والعلُماء:

١- *بلغ عُمَرَ ﷺ عن بعضِ عُمَّالِه شيءٌ، فجمعهم فخطَبهم، فقال:* " أيَّتُها الرَّعيَّةُ! إنَّ للرُّعاةِ عليكم حقًّا: المناصحةُ بالغيبِ، والمعاونةُ على الخيرِ، ألا وإنَّه ليس شيءٌ أحَبَّ إلى اللهِ من حِلمِ إمامٍ عادلٍ ورِفقِه، ولا جَهلَ أبغَضُ إلى اللهِ مِن جَهلِ إمامٍ جائرٍ وخُرْقِه، ومن يأخُذْ بالعافيةِ فيمن بَيْنَ ظَهْرَيه يُعطَ العافيةَ ممَّن فوقَه ". (رواه وكيع في الزهد:٤١٩) (وابن شبة في تاريخ المدينة:٢/٧٧٤) والطبري في التاريخ:٢/٥٧٨).

٢- *ورُوِيَ أنَّ عَمرَو بنَ العاصِ ﷺ كتب إلى معاويةَ ﷺ يعاتِبُه في التَّأنِّي فكتَب إليه معاويةُ:* " أمَّا بعدُ؛ فإنَّ التَّفهُّمَ في الخبَرِ زيادةُ رُشدٍ، وإنَّ الرَّاشِدَ مَن رَشَدَ عن العجَلةِ، وإنَّ الخائِبَ من خاب عن الأناةِ، وإنَّ المتثبِّتَ مصيبٌ، أو كاد أن يكونَ مصيبًا، وإنَّ العَجِلَ مُخطِئٌ أو كاد أن يكونَ مُخطِئًا، وإنَّ من لا ينفَعُه الرِّفْقُ يضُرُّه الخُرقُ[٣]، ومَن لا ينفَعُه التَّجارِبُ لا يُدرِكُ المعالي ". (إحياء علوم الدين للغزالي:٣/١٨٦).

٣- *وقال مُعاويةُ ﷺ:* " من وَلَّيناه شيئًا من أمورنا فليجعَلِ الرِّفْقَ بَيْنَ الأمانةِ والعَدلِ ".

(البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي:٧/ ١٨).

١- سَجْلًا من ماءٍ- أو دَلْوًا مِن ماءٍ-: والسَّجْلُ بمعنى الدَّلو، وهو وِعاءٌ كَبيرٌ للماءِ.
٢- لقد تَحجَّرتَ واسِعًا: أي: منَعتَ وضيَّقتَ أمرًا جعَل اللهُ فيه السَّعةَ، ألا وهو رحمةُ اللهِ عزَّ وجلَّ الَّتي تشمَلُ كلَّ عبادِه الموحِّدين، والحَجْرُ: المنعُ.
٣- الخُرقُ ضِدُّ الرِّفقِ. (تاج العروس للزبيدي:٢٥/ ٢٢٨).

٤- ***وقال عُروةُ بنُ الزُّبَيرِ-رَضِيَ الله عنهما-:*** " كان يُقالُ: الرِّفْقُ رأسُ الحِكمةِ ".
(رواه أحمد في الزهد:٢٧٤) (ابن أبي شيبة) (ووكيع في الزهد:٤٥٨).

٥- ***وقال وَهبُ بنُ مَنبِّهٍ-رحمه الله-:*** " الرِّفْقُ ثِنيُ الحِلمِ ". (إحياء علوم الدين للغزالي:١٨٦/٣).

٦- ***وجاء في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري:٢/ ٢٣٤ عن سفيان بنُ عُيَينَةَ-رحمه الله- قال:*** سمِعتُ ابنَ أختِ وَهبٍ يقولُ: الرِّفقُ بُنَيُّ[1] الحِلمِ ". اهـ.

٧- ***وقال قيسُ بنُ أبي حازمٍ-رحمه الله-:*** **كان يُقالُ:** " الرِّفْقُ يُمنٌ، والخُرقُ شُؤمٌ ".
(رواه هناد في الزهد:٦٥٤/٢).

٨- ***وقال حبيبُ بنُ حُجرٍ القَيسيِّ-رحمه الله-:*** " كان يُقالُ: ما أحسَنَ الإيمانَ يَزينُه العِلمُ! وما أحسَنَ العِلمَ يَزينُه العَمَلُ! وما أحسَنَ العَمَلَ يزينُه الرِّفْقُ!". (رواه ابنُ المبارك في الزهد:١٣٣٦)

٩- ***وأوصى عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ-رحمه الله- واليًا، فقال:*** " عليك بتقوى اللَّهِ؛ فإنَّها جِماعُ الدُّنيا والآخرةِ، واجعَلْ رعيَّتَك الكبيرَ منهم كالوالِدِ، والوَسَطَ كالأخِ، والصَّغيرَ كالوَلَدِ؛ فبَرَّ والِدَك، وصِلْ أخاك، وتلطَّفْ بولَدِك ". (محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني:١/ ٢١١).

- ***وقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ-رحمه الله- أيضًا:*** " أحَبُّ الأمورِ إلى اللَّهِ ثلاثةٌ: العَفْوُ في القُدرةِ، والقَصدُ في الجِدَةِ، والرِّفقُ في العِبادةِ، وما رَفَق أحدٌ بأحَدٍ في الدُّنيا إلَّا رَفَق اللَّهُ به يومَ القيامةِ ".
(روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان ص: ١٦٧).

١٠- ***وقال أبو حاتمِ بنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:*** " الواجِبُ على العاقِلِ لُزومُ الرِّفْقِ في الأمورِ كُلِّها، وتَركُ العَجَلةِ والخِفَّةِ فيها؛ إذ اللهُ تعالى يحِبُّ الرِّفْقَ في الأمورِ كُلِّها، ومَن مُنِع الرِّفْقَ مُنِع الخيرَ، كما أنَّ من أُعطيَ الرِّفْقَ أُعطيَ الخَيرَ، ولا يكادُ المرءُ يتمكَّنُ مِن بُغيتِه في سُلوكِ قَصدِه في شيءٍ من الأشياءِ على حسَبِ الذي يحِبُّ، إلَّا بمقارنةِ الرِّفْقِ ومفارقةِ العَجَلةِ ". (روضة العقلاء لابن حبان ص: ٢١٥).

- ***وقال أيضًا:*** " العاقِلُ يَلزَمُ الرِّفْقَ في الأوقاتِ، والاعتدالَ في الحالاتِ؛ لأنَّ الزِّيادةَ على المقدارِ في المبتغى عيبٌ، كما أنَّ النُّقصانَ فيما يجِبُ من المطلَبِ عَجزٌ، وما لم يصلِحْه الرِّفْقُ لم يُصلِحْه العُنفُ، ولا دليلَ أمهرُ مِن رِفقٍ، كما لا ظهيرَ أوثَقُ من العَقلِ، ومن الرِّفْقِ يكونُ الاحترازُ، وفي الاحترازِ تُرجى السَّلامةُ، وفي تركِ الرِّفْقِ يكونُ الخُرقُ، وفي لزومِ الخُرقِ تخافُ الهَلَكةُ ". (روضة العقلاء لابن حبان ص: ٢١٦).

١١- ***قال أحمدُ بنُ حنبَلٍ-رحمه الله-:*** " النَّاسُ محتاجون إلى مداراةٍ ورِفقٍ، الأمرُ بالمعروفِ بلا غلظةٍ إلَّا رجُلًا معلنًا بالفِسقِ، فلا حُرمةَ له ". (جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي:٢/ ٢٥٦).

١- بُنَيُّ: يعني مِثلُ. كما قيل: يا سعدُ يا ابنَ عَمَلي يا سَعدُ. أراد بقولِه "يا ابنَ عَمَلي": أي: يا مَن يعمَلُ مِثلَ عَمَلي. (مجمع الأمثال للميداني:١/ ٣١١).

١٢- ***وقال الجاحِظُ-رحمه الله-:*** " أنظَرُ النَّاسِ في العاقبةِ مَن لَطَف حتَّى كَفَّ حَربَ عَدُوِّه بالصَّفحِ والتَّجاوُزِ، واستَلَّ حِقدَه بالرِّفقِ والتَّحَبُّبِ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:٤/ ٣٢٦).

١٣- ***وقال الأصمَعيُّ-رحمه الله-:*** " إذا كانت في العالِمِ خِصالٌ أربَعُ، وفي المتعلِّمِ خِصالٌ أربَعُ اتَّفق أمرُهما وتمَّ، فإن نقَصت من واحدٍ منهما خَصلةٌ لم يتِمَّ أمرُهما؛ أمَّا اللَّواتي في العالِمِ فالعَقلُ، والصَّبرُ، والرِّفْقُ، والبَذلُ، وأمَّا اللَّواتي في المتعلِّمِ فالحِرصُ، والفراغُ، والحِفظُ، والعقلُ؛ لأنَّ العالمَ إن لم يُحسِنْ تدبيرَ المتعَلِّمِ بعقلِه خُلِط عليه أمرُه، وإن لم يكُنْ له صبرٌ عليه مَلَّه، وإن لم يرفُقْ به بغَّض إليه العِلمَ، وإن لم يبذُلْ له عِلمَه لم ينتفِعْ به، وأمَّا المتعَلِّمُ فإن لم يكُنْ له عقلٌ لم يفهَمْ، وإن لم يكُنْ له حرصٌ لم يتعلَّمْ، وإن لم يُفرِّغْ للعِلمِ قَلبَه لم يَعقِلْ عن مُعَلِّمِه، وساء حفظُه، وإذا ساء حفظُه كان ما يكونُ بَيْنَهما مِثلَ الكتابِ على الماءِ ". (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي:١/ ٣٤٣).

١٤- ***وقال الحافظ ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-:*** " لا يتعمَّقُ أحدٌ في الأعمالِ الدِّينيَّةِ ويترُكُ الرِّفْقَ، إلَّا عَجَز وانقطع فيُغلَبُ ". (فتح الباري لابن حجر:١/٩٤).

١٥- ***وقال أبو حامدٍ الغزاليُّ-رحمه الله-:*** " الرِّفْقُ محمودٌ، ويضادُّه العنفُ والحِدَّةُ، والعُنفُ نتيجةُ الغَضَبِ والفظاظةِ، والرِّفْقُ واللِّينُ نتيجةُ حُسنِ الخُلقِ والسَّلامةِ، وقد يكونُ سَبَبُ الحِدَّةِ الغَضَبَ، وقد يكونُ سببُها شِدَّةَ الحرصِ واستيلاءه بحيث يدهشُ عن التَّفكُّرِ، ويمنعُ من التَّثبُّتِ؛ فالرِّفْقُ في الأمورِ ثَمَرةٌ لا يثمِرُها إلَّا حُسنُ الخُلُقِ، ولا يَحسُنُ الخُلُقُ إلَّا بضبطِ قُوَّةِ الغضبِ وقوَّةِ الشَّهوةِ، وحِفظِهما على حَدِّ الاعتدالِ؛ ولأجلِ هذا أثنى رسولُ اللهِ ﷺ على الرِّفْقِ وبالَغ فيه ". (إحياء علوم الدين:٣/ ١٨٤).

١٦- ***وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-:*** " مَن رَفَق بعبادِ اللهِ رَفَق اللهُ به، ومن رَحِمهم رَحِمه، ومن أحسَن إليهم أحسَن إليه، ومن جاد عليهم جاد اللهُ عليه، ومن نفَعَهم نفَعَه، ومن ستَرَهم ستَرَه، ومن منَعَهم خيرَه منعَه خيرَه، ومن عامل خلْقَه بصفةٍ عاملَه اللهُ بتلك الصِّفةِ بعينِها في الدُّنيا والآخرةِ؛ فاللهُ تعالى لعبدِه حَسَبَ ما يكونُ العبدُ لخَلقِه ". (الوابل الصيب لابن القيم ص: ٣٥).

١٧- ***وقال ابنُ بازٍ-رحمه الله-:*** " هذا العَصرُ عَصرُ الرِّفْقِ والصَّبرِ والحِكمةِ، وليس عَصرَ الشِّدَّةِ. النَّاسُ أكثرُهم في جهلٍ، في غفلةٍ، إيثارٍ للدُّنيا، فلا بُدَّ من الصَّبرِ، ولا بُدَّ من الرِّفْقِ؛ حتَّى تَصِلَ الدَّعوةُ، وحتَّى يُبلَّغَ النَّاسُ وحتَّى يَعلَموا. ونسألُ اللهَ للجميعِ الهدايةَ ". (مجموع فتاوى ابن باز:٨/ ٣٧٦)

ومن فضل وفوائد الرِّفْقِ كذلك:

١- الرِّفْقُ طريقُ موصِلٌ إلى الجنَّةِ.

٢- دليلُ كمالِ الإيمانِ وحُسنِ الإسلامِ.

٣- يُثمِرُ محبَّةَ اللهِ ومحبَّةَ النَّاسِ.

٤- ينَمِّي روحَ المحبَّةِ والتَّعاونِ بَيْنَ النَّاسِ.

٥- دليلٌ على صلاحِ العبدِ وحُسنِ خُلُقِه.

٦- بالرِّفْقِ ينشَأُ المجتمعُ سالمًا من الغِلِّ والعنفِ.

٧- عنوانُ سَعادةِ العبدِ في الدَّارينِ.

٨- الرِّفْقُ يزينُ الأشياءَ.

٩- الرِّفْقُ بالحيوانِ في إطعامِه، أو ذبحِه: من مظاهِرِ الإحسانِ.

١٠- الرِّفْقُ دليلٌ على فقهِ الرَّفيقِ وأناتِه وحِكمتِه.

١١- الرِّفْقُ ينتُجُ منه حُسنُ الخُلقِ.

١٢- بالرِّفْقِ ينالُ الإنسانُ الخيرَ. (نضرة النعيم:٦/٢١٦٨).

١٣- بالرِّفْقِ توطَّد العلاقاتُ وتقوى الأواصِرُ.

١٤- بالرِّفْقِ يصِلُ الإنسانُ إلى غايتِه، وتتيسَّرُ له الأمورُ.

١٥- الرِّفْقُ يَكسِبُ الرَّاحةَ والطُّمأنينةَ، والرَّزانةَ والحِلمَ.

٨- فضل الزهد فيما في أيدي الناس [١]:

أولًا: فضل الزهد فيما في أيدي الناس؛ مِن السُّنَّةِ النَّبويَّة:

وممَّا جاء في حضِّ النَّبيِّ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ على الزُّهدِ فيما في أيدي النَّاسِ:

١- *ما أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " ليس الغِنى عن كثرةِ العَرَضِ، ولكنَّ الغِنى غِنى النَّفسِ ".

الغِنى النَّافِعُ غِنى النَّفسِ، وشِبَعُها وقلَّةُ حِرصِها، لا كثرةُ المالِ؛ لأنَّ كثيرًا ممَّن وسَّع اللهُ عليه في المالِ يكونُ فقيرَ النَّفسِ، لا يقنَعُ بما أُعطِي، فهو مُشرِفُ النَّفسِ لِما عندَ غَيرِه، والذي يستغني بالقليلِ ويقنَعُ، ولم يحرِصْ على الزِّيادةِ فيه، ولا ألحَّ في الطَّلَبِ؛ فكأنَّه غَنيٌّ واجِدٌ أبدًا. (شرح البخاري لابن بطال:١٠/ ١٦٥).

٢- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث عُمرَ ﷺ قال:* " كان رسولُ اللهِ ﷺ يُعطيني العَطاءَ، فأقولُ: أعطِه مَن هو أفقَرُ إليه منِّي، فقال: خُذْه، إذا جاءك مِن هذا المالِ شيءٌ وأنت غَيرُ مُشرِفٍ ولا سائِلٍ فخُذْه، وما لا فلا تُتبِعْه نَفسَك ".

أي: لا تجعَلْ نَفسَك تتحسَّرُ على فَوتِه، ولا تُعلِّقْها بطلبِ واتِّباعِ ما عندَ غَيرِك.

(إكمال المعلم للقاضي عياض:٣/ ٥٧٩) (الإفصاح لابن هبيرة:١/ ١٠٣).

٣- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث حكيمِ بنِ حِزامٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:* " إنَّ هذا المالَ خَضِرةٌ حُلوةٌ، فمَن أخَذه بطِيبِ نَفسٍ بورِكَ له فيه، ومَن أخَذه بإشرافِ نَفسٍ [٢] لم يُبارَكْ له فيه، وكان كالذي يأكُلُ ولا يشبَعُ ".

٤- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:* " ومَن يستعفِفْ يُعِفَّه اللهُ، ومَن يستغْنِ يُغْنِه اللهُ، ومَن يتصبَّرْ يُصبِّرْه اللهُ، وما أُعطِي أحدٌ عطاءً خَيرًا وأوسَعَ مِن الصَّبرِ ".

وفيه: الحضُّ على الاستِغناءِ عن النَّاسِ بالصَّبرِ، والتَّوكُّلِ على اللهِ، وانتِظارِ رِزقِ اللهِ، وذلك أفضَلُ ما أُعطِيَه المُؤمِنُ. (الاستذكار لابن عبد البر:٢٧/ ٤١١).

٥- *وأخرج البخاري من حديث أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:* " ليس منَّا مَن لم يتغَنَّ بالقرآنِ ".

مِن معانيه: لم يستغْنِ به، فلا يطمَحُ بَصرُه إلى ما عندَ النَّاسِ مِن زخارِفِ الدُّنيا، وعندَه معارِفُ المولى.

(أعلام الحديث للخطابي:٢/ ١١٨٤).

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

٢- قولُه ﷺ:" بإشرافِ نَفسٍ" أي: بتطلُّعٍ وحِرصٍ وطَمعٍ، وشَرهٍ إليه، وارتِفاعٍ له، وتعرُّضٍ وطَلَبٍ. (كشف المشكل لابن الجوزي:٤/ ٦٤).

ثالثاً: فضل الزهد فيما في أيدي الناس؛ مِن أقوالِ السَّلفِ والعلَماءِ

١- *قال حكيمُ بنُ حِزامٍ ﷺ:* " يا رسولَ اللهِ! والذي بعَثك بالحقِّ لا أرزَأُ أحدًا بَعدَك[١] شيئًا حتَّى أفارِقَ الدُّنيا ". (أخرجه البخاري)

٢- *وكتَب أبو الدَّرداءِ ﷺ إلى بعضِ إخوانِه:* " أمَّا بَعدُ، فإنِّي أوصيك بتقوى اللهِ، والزُّهدِ في الدُّنيا، والرَّغبةِ فيما عندَ اللهِ؛ فإنَّك إذا فعلْتَ ذلك أحبَّك اللهُ لرغبتِك فيما عندَه، وأحبَّك النَّاسُ لتَركِك لهم دُنياهم، والسَّلامُ ". (شعب الإيمان للبيهقي:١٣/ ١٩٨).

٣- *وحضَر رجُلًا مِن الأنصارِ الموتُ، فقال لابنِه:* " يا بُنيَّ إنِّي موصيك بوَصيَّةٍ فاحفَظْها؛ فإنَّك إلَّا تحفَظْها منِّي خليقٌ ألَّا تحفَظَها مِن غيري: اتَّقِ اللهَ عزَّ وجلَّ، وإن استطعْتَ أن تكونَ خيرًا منك أمسِ، وغدًا خيرًا منك اليومَ؛ فافعَلْ، وإيَّاك والطَّمعَ؛ فإنَّه فقرٌ حاضِرٌ، وعليك بالإياسِ؛ فإنَّك لا تيأسُ مِن شيءٍ إلَّا أغناك اللهُ عنه عزَّ وجلَّ، وإيَّاك وكُلَّ شيءٍ يُعتذَرُ منه؛ فإنَّه لا يُعتذَرُ مِن خيرٍ، وإذا عثَر عاثِرٌ مِن بَني آدَمَ فاحمَدِ اللهَ ألَّا تكونَه، فإذا قُمْتَ إلى صلاتِك فصلِّ صلاةَ المُودِّعِ، وأنَّك ترى أنَّك لا تُصلِّي بَعدَها أبدًا ". (الزهد للإمام أحمد ص: ٦٣١).

٤- **ورُوِي عن الحَسنِ البَصريِّ -رحمه الله- قولُه:** " لا تزالُ كريمًا على النَّاسِ، ولا يزالُ النَّاسُ يُكرِمونَك ما لم تتَعاطَ ما في أيديهم، فإذا فعلْتَ ذلك استخَفُّوا بك، وكرِهوا حديثَك، وأبغَضوك ". (الزهد لأحمد ص: ٢١٦).

٥- *وقال سعيدُ بنُ جُبَيرٍ -رحمه الله-:* " أظهِرِ اليأسَ ممَّا في أيدي النَّاسِ؛ فإنَّه الغِنى، وإيَّاك وما يُعتذَرُ منه؛ فإنَّه لا يُعتذَرُ مِن خيرٍ". (الطبقات الكبير لابن سعد:٨/ ٣٨٠).

٦- *وقال أبو جَعفَرٍ -رحمه الله- لمُعاويةَ بنِ عمَّارٍ:* اليأسُ عمَّا في أيدي النَّاسِ عِزٌّ، ثُمَّ قال: أمَا سمعتَ قولَ حاتِمٍ الطَّائيِّ: إذا ما عرَفْتَ اليأسَ ألفَيتَه الغِنى إذا عرَفَتْه النَّفسُ والطَّمَعُ الفَقرُ. (روضة العقلاء لابن حبان ص: ١٤٤).

٧- *وقيل لبعضِ أهلِ البَصرةِ:* " مَن سيِّدُكم؟ قال: الحَسنُ، قال: بِمَ سادكم؟ قال: احتَجْنا لعِلمِه، واستَغنى عن دُنيانا ". (فيض القدير للمناوي:١/ ٤٨١).

٨- *وقال الكَلاباذيُّ -رحمه الله-:* " فمَن زَهِدَ فيما في أيديهم، وبذَل لهم ما عندَه، وَدَّه النَّاسُ وأحبُّوه، وهذه أوصافُ العُقَلاءِ ". (بحر الفوائد ص: ٦١).

٩- *وقال أحمَدُ بنُ المُغلِّسِ -رحمه الله-:* " سمعْتُ أبا نَصرٍ؛ بِشرَ بنَ الحارِثِ يقولُ: وقد قال له رجُلٌ: يا أبا نَصرٍ، ما أشَدَّ حُبَّ النَّاسِ لك! فغلُظَ عليه ذلك، ثُمَّ قال: ولك، عافاك اللهُ! قال: وكيف؟ قال: دَعْ لهم ما في أيديهم ". (تاريخ دمشق لابن عساكر:١٠/ ١٩٩).

١- لا أرزَأُ أحدًا بَعدَك أي: لا أنقُصُ بَعدَك مالَ أحدٍ بالسُّؤالِ عنه والأخذِ منه. (الكاشف للطيبي:٥/ ١٥١٤).

١٠- ***وقال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ-رحمه الله-:*** " كان العُلَماءُ قَبلَنا قد استغنَوا بعِلمِهم عن دُنيا غَيرِهم، فكانوا لا يلتفِتونَ إلى دُنيا غَيرِهم، وكان أهلُ الدُّنيا يبذُلونَ لهم دُنياهم رَغبةً في عِلمِهم، فأصبَح أهلُ العِلمِ اليومَ فينا يبذُلونَ لأهلِ الدُّنيا عِلمَهم رغبةً في دُنياهم، وأصبَح أهلُ الدُّنيا قد زَهِدوا في عِلمِهم لِما رأَوا مِن سوءِ مَوضِعِهم عندَهم ". **(الحلية لأبي نعيم الأصبهاني:٤/ ٢٩).**

١١- ***وقال أيُّوبُ السَّختيانيُّ-رحمه الله-:*** " لا ينبُلُ الرَّجلُ حتَّى تكونَ فيه خَصلتانِ: العِفَّةُ عمَّا في أيدي النَّاسِ، والتَّجاوُزُ عمَّا يكونُ منهم ". **(روضة العقلاء لابن حبان ص: ١٦٧)**

- ***وفي لفظٍ:*** " لا يستوي العبدُ- أو لا يسودُ العبدُ- حتَّى يكونَ فيه خَصلتانِ: اليأسُ ممَّا في أيدي النَّاسِ، والتَّغافُلُ عمَّا يكونُ منهم ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:٣/ ٥).**

١٢- ***قال الأصمَعيُّ-رحمه الله-:*** " سمعْتُ أعرابيًّا يقولُ: عجِبْتُ للحريصِ المُستقِلِّ لكثيرِ ما في يدِه، والمُستكثِرِ لقليلِ ما في يدِ غَيرِه، حتَّى طلب الفَضلَ بذَهابِ الأصلِ، فركِب مفاوِزَ البَراري ولُجَجَ البِحارِ مُعرِّضًا نَفسَه للمماتِ ومالَه للآفاتِ، ناظِرًا إلى مَن سَلِم، غَيرَ مُعتبِرٍ بمَن عَدِم ".
(التذكرة الحمدونية لابن حمدون:٣/ ١٣٣).

١٣- ***قال ابنُ المُبارَكِ-رحمه الله-:*** " سخاءُ النَّفسِ عمَّا في أيدي النَّاسِ أفضَلُ مِن سخاءِ النَّفسِ بالبَذلِ ".
(المروءة لابن المرزبان ص: ٨٢)

١٤- ***وقال بعضُ الحُكَماءِ:*** " صِلْ مَن شئْتَ فأنت أميرُه، وسلْ مَن شئْتَ فأنت حقيرُه، واستَغنِ عمَّن شئْتَ فأنت نَظيرُه ". **(سُنن الصالحين وسَنَن العابدين لأبي الوليد الباجي ص: ٤٤٨).**

١٥- ***وقال رجُلٌ مِن الحُكَماءِ:*** " تقرُّبُك مِن اللهِ مسألتُه، وتقرُّبُك مِن النَّاسِ تَركُ مسألتِهم ".
(المصدر السابق ص: ٤٥٠).

١٦- كان يُقالُ: " أفضَلُ النَّاسِ مَن كان فيه خمسُ خِصالٍ:

أوَّلُها: أن يكونَ على عبادةِ ربِّه مُقبِلًا.

والثَّاني: أن يكونَ نَفعُه للخَلقِ ظاهِرًا.

والثَّالثُ: أن يكونَ النَّاسُ مِن شَرِّهِ آمِنينَ.

والرَّابعُ: أن يكونَ عمَّا في أيدي النَّاسِ آيسًا.

والخامسُ: أن يكونَ للموتِ مُستعِدًّا ". **(تنبيه الغافلين للسمرقندي ص: ٤٤).**

١٧- ***وقال ابنُ عُثَيمينَ-رحمه الله-:*** " مَن لم يستَغنِ عمَّا في أيدي النَّاسِ لم يُغنِه اللهُ عنهم، يبقى دائِمًا مُتلهِّفًا إلى ما في أيدي النَّاسِ ". **(فتح ذي الجلال والإكرام:٣/ ١٠٨).**

ومن فضل وفوائدُ الزُّهدِ فيما في أيدي الناس كذلك:

١- سَببٌ لمحبَّةِ النَّاسِ: فإنَّ الدُّنيا محبوبةٌ للنَّاسِ، فمَن يُزاحِمُهم عليها يُبغِضونَه، **وقد حكى الرِّياشيُّ عن الأصمَعيِّ، قال:**" رأَيتُ أعرابيًّا مُتعلِّقًا بأستارِ الكَعبةِ وهو يقولُ: إلهي أنت جئْتَ بي، وعليك قدِمْتُ، وأنت أقدَمْتَني، عصَيتُك بعِلمِك فلك الحُجَّةُ عليَّ، وأطعْتُك بحِلمِك فالمِنَّةُ عليَّ، فبوُجوبِ حُجَّتِك وانقِطاعِ حُجَّتي إلَّا عفَوتَ عنِّي، فدنَوتُ منه، وقلْتُ: يا أعرابيُّ، متى يكونُ العبدُ أقرَبَ ما يكونُ إلى اللهِ؟ قال: إذا سألَه، قلْتُ: ومِن النَّاسِ؟ قال: إذا لم يسأَلْهم، ثُمَّ ولَّى وهو يقولُ:

اللهُ يغضَبُ إن ترَكْتَ سُؤالَه   وبُنَيُّ آدَمَ حينَ يُسأَلُ يغضَبُ.

(الدر الفريد للمستعصمي:٢/ ٤٣).

٢- راحةُ القلبِ والبَدَنِ.

٣- التَّخلِّي عن داءِ الحِرصِ: ***فقد أخرج الإمام مسلم من حديث معاويةَ بنِ أبي سفيانَ- رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ:*** **" ومَن أعطَيتُه عن مسألةٍ وشَرَهٍ كان كالذي يأكُلُ ولا يشبَعُ ".**

٤- حُصولُ البَرَكةِ.

٥- اغتِنامُ العُمُرِ: **قال أبو حازمٍ سَلَمةُ بنُ دينارٍ-رحمه الله-:**" وجدْتُ الدُّنيا شيئَينِ: فشيءٌ منها هو لي فلن أتعجَّلَه قَبلَ أجَلِه، ولو طلَبْتُه بقوَّةِ السَّمواتِ والأرضِ، وشيءٌ منها هو لغَيري، فذلك ما لم أنَلْه فيما مضى، ولا أرجوه فيما بقِي، يمنَعُ الذي لي مِن غَيري، كما يمنَعُ الذي لغَيري منِّي؛ ففي أيِّ هذَينِ أُفني عُمري؟! ". (القناعة لابن أبي الدنيا ص: ٤٩).

٦- سَدُّ بابِ الظُّلمِ وحُصولُ العَدلِ والأمنِ؛ فإنَّ المرءَ قد يتطلَّعُ إلى ما في يدِ غَيرِه، فتدعوه القوَّةُ الشَّهوانيَّةُ إلى أخذِه قَهرًا. (منهاج السنة لابن تيمية:٦/ ٣٨٣).

٧- الاستِعفافُ عن المسألةِ وتجنُّبُ ذُلِّ السُّؤالِ: **قال الحَسنُ البَصريُّ:**" عِزُّ المُؤمِنِ استِغناؤه عمَّا في أيدي النَّاسِ ". (التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا:٢/ ٣٦).

- ومَن طمِع ذلَّ وانحطَّت منزِلتُه عندَ الحقِّ والخَلقِ (التيسير للمناوي:٢/ ٧٧).

- وما بسَقَت أغصانُ ذُلٍّ إلَّا على بَذْرِ طَمَعٍ، وأنت حُرٌّ ممَّا أنت عنه آيسٌ، وعبدٌ لِما أنت له طامِعٌ.
(الحكم لابن عطاء الله ص: ٢٨).

٨- الرِّضا بقضاءِ اللهِ وعَدمُ السَّخَطِ: **قال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ -رحمه الله-:**" ومَن أَسِف على ما في يدِ غيرِه سَخِط قضاءَ ربِّه عزَّ وجلَّ ". (الحلية لأبي نعيم الأصبهاني:٤/ ٣٨).

وقيل:" مَن رَضِي برِزقِ اللهِ لم يحزَنْ على ما في يدِ غَيرِه ". (بستان العارفين لأبي الليث السمرقندي ص: ٤٠٨).

٩- النَّجاةُ مِن داءِ الشُّحِّ: قال طاووسُ بنُ كَيسانَ:" البُخلُ: أن يبخَلَ الرَّجلُ بما في يَدَيه، والشُّحُّ: أن يُحِبَّ أن يكونَ له ما في أيدي النَّاسِ بالحرامِ، لا يقنَعُ ". (جامع البيان للطبري:٧/ ٢١) (حلية الأولياء لأبي نعيم:٤/ ٦).

١٠- ثباتُ العِلمِ في القلبِ؛ فإنَّ ذَهابَه بالطَّمعِ وشَرَهِ النَّفسِ، وتَطَلُّبِ الحاجاتِ إلى النَّاسِ.
(القناعة لابن أبي الدنيا ص: ٧٥).

١١- سلامةُ الدِّينِ وصيانةُ الإيمانِ: **قال وَهبُ بنُ مُنبِّهٍ -رحمه الله-:**" ومَن تضَعضَعَ[1] لغَنيٍّ ذهَب ثُلُثا دينِه ". (شعب الإيمان للبيهقي:١٢/ ٣٧٣).

١٢- الطُّمأنينةُ وراحةُ البالِ وسلامةُ الصَّدرِ.

١٣- التَّوَقِّي مِن الوُقوعِ في المُحرَّماتِ.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.
وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

١- تضَعضَعَ أي: خَضَع وذَلَّ. (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير:٣/ ٨٨).